عن أشياء تؤلمك



الكتـــــاب: عن أشياء تؤلمك

المـــؤلـــف: أحمد عبد اللطيف

تنسيق داخلي: سندس فخري

الطبعة الأولى: يناير 2020

رقم الإيــداع: 2019/28399

I . S . B . N: 978-977-992-081-8

المدير العام: محمد شوقي

مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس

00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

عن أشياء تؤلمك

أحمد عبد اللطيف




عصير
الكتب
للنشر و التوزيع

الإهداء

إلى كُلِّ فتاةٍ جميلةٍ لا تعرفُ قدرَ نفسها، ولا تُدرك كم هي جميلةٌ، أصابَ مَن حولها العمى، ولكنها رغمًا عن عماهِم جميلة.

عندما يقعُ هذا الكتاب بينَ رَاحَتَيْ كفَّيكِ الجميلتين؛ أكونُ وقتها ناظرًا إلى السماءِ؛ أبتهلُ، وأتضرَّعُ، وأُناجي ربِّي أنْ أكونَ عندَكِ مِن المقبولين، وأن تكوني أنتِ أوَّل مَن يحظى به، حتى وإنْ كُنتِ آخرَهُنَّ حصولًا عليه؛ فأنتِ الأولى، كمطلعِ القصيدة، وإن تأخَّرتِ، وأنتِ الأخيرة لا شك ولكن كمِسكِ ختامٍ، فمِن أجلكِ كتبته، ومن أجلكِ نسجتُ كلماته، وغزلتُها وغازلتُها؛ حتى ترِقَّ لحِبرِ قلبي، كي ينزِفَ بينَ يديكِ الآن حُبًّا وحرفًا!

مِن أجلكِ استخرتُ الله أولًا؛ كي أبوحَ لكِ بما فيه مِن خواطري، ومن أجلكِ قامت رَوحي ولم تقعُد حتى أناديَكِ بـ «بِضعةٌ مِنِّي»...

أخاطِبُكِ كابنتي التي خُلِقَت مِن صُلبي، والتي لا يتمنَّى لها الخيرَ أحد مثلُ أبيها، أُحادثكِ بِلِينٍ ورحمة، كعابرِ سبيلٍ مرَّ عليكِ صُدفةً، فقرأ برَوحه ما يَكُنُّ برَوحِك.

وذا أنا «خِضْرُكِ» الذي سينبِّئُكِ بتأويلِ ما لم تستطيعي عليهِ صبراً؛ فتعَالي يا «بِضعةٌ مِنِّي» أُخبرِكِ، فأقبلي، وهَلُمِّي...

أحمد عبد اللطيف



- «صباحُ الخير» لرَوحِك...

ولرَوحكِ تُرغَم الصباحات على الخير، روحك وحدك التي لا شبيه لها ولا يليق بها سواك، سر وقوع الناس فيكِ، وانجذابهم لكِ، وتمتمة دعواتهم، وسباقهم نحوكِ، روحك الأخفُّ، والأجمل بين الأرواح، تلك المُعتقة بالبراءة، المُحمَّلة بالسلام والوئام، المُغلفة بأكاليل الرياحين والزهور...

«صباح الخير» من رَوحي إنْ تخللت روحك كلماتي، أو انتشت بحروفي، أو رأيتِني بين السطور أحدِّقُ في عينيكِ...

«صباح الخير» لكِ فقط، وللعالم ما شاء من صباحات، أنتِ في غِنًى تامٍّ عنها.

- أنا «أحبكِ»...

بكُل أخطائك، وزلاتك، وماضيكِ المشوَّه...

«أُحبكِ» بإرادتك، أو رغمًا عنكِ...

«أحبكِ» بكل تفاصيلك التي لا يلتفت إليها أحد، أو يُلقي لها بالًا...

«أحبك» بكل مشاعرك المختلفة، وفساتينك القديمة التي تتخللها رائحةُ الوجع، والجروح العميقة...

«أحبك» بما أنتِ عليه جُملةً، ولا سبيلَ لديكِ للتخلُص من حُبي، كما أنه لا سبيل لديَّ، وإنْ توقَّفتُ عن حبك، أحبَبتُكِ بكامل إرادتي من جديد.

- ما الذي يحولُ بيني وبينكِ؟!

يا سيدتي، دعيني أُخبِركِ بشيءٍ عالِقٍ بجدارِ رَوحي المُنقضِّ، فأَقيميهِ واتَّخذي عليهِ أجرًا، إنَّ الرجُلَ إذا

وضع اللهُ في قلبهِ حُبَّ امرأةٍ فأخلصَ لهُ النيَّةَ فيها، غسلَ قلبه بماءٍ طَهورٍ كي يُزيلَ عنه آثارَ الخدوشِ السابقة، ويمحي منهُ ندباتِ الخِذلانِ الحارقة، وأغلَق أبوابَ الهوى في روحهِ كي لا يعشقُ امرأةً سِواها، وأحكمَ زِمامَ أمورهِ في اختيارها، ويسَّر له وأعانه، واللهُ إذا كلَّفَ عبادهُ بأمرٍ أعانهُم عليه، وها هو قلبي قد كُلِّفَ بكِ طوعًا وكرهًا، فالنيَّاتُ الطيبةُ تجاهَ مَن نُحب كالاستغفارِ، تجلِبُ الرزقَ وتأتي بالبركة، وتُفتِّحُ أبوابَ الخيرِ المُغلَقةِ على مِصراعيها، وأنتِ رزقٌ قد ساقَهُ ربِّي إليَّ دونَ سعيٍ منِّي، وبابُ خيرٍ لم أطرقهُ عن قصدٍ حياءً منكِ، فلا تظُنِّي أنَّي تاركك، أو مُفرِّطٌ فيكِ، أو سانحٌ لغيري فُرصةً واحدةً ليشتهيَ ظلَّكِ ولو تخيُّلًا وهل لعاقلٍ مثلي قد جُنَّ بكِ أنْ يدَع أو يُفرِّط؟! لقد دخلتِ عالمي المُعتمَ فأنرتِه، وخَطَوْتِ بجوار حُزني القابعِ فمحوتِه، ومنحتِ العُمرَ فرصةً كي يبدأَ بعدما أوشكَ على النهايةِ والفناء.

يا سيدتي المُبجَّلَة وطفلتي المُدلَّلة وزخات المطرِ في شقوقِ رَوحي المُتعبةِ، لن يحولَ بيننا حاجزُ الأمس، فالبشرُ بالأمسِ قد دَفنوا أرواحَهُم بالندمِ في مقابره، ولن يحولَ بيننا الغدُ، فالغدُ في علمِ الغيبِ واللهُ بشؤونِ عباده بالغيبِ كفيل، أمَّا عن اليومِ فكيف يحولُ اليومُ بيننا وأنا منذُ بزوغِ فجرهِ إلى وداعِ شمسهِ أطلبُكِ في سجودي مُناجيًا ربًّا كريمًا أنْ «ويسِّر لي أمري»، وهل بعد أمركِ أمرٌ يَستدعي في صلواتي أن يُذكَر؟!

وهل يُفَرِّق شيءٌ بينَ قلبينِ أراد اللهُ بالدُعاءِ جمعَهما؟!

- أقولها علانيةً: «أُحِبُّكِ» جدًّا...

رغمًا عن الذينَ قالوا إنَّكِ لا تَصْلُحِين، وعِندًا في الذينَ أشاروا إليكِ بكلامٍ مُشين، ونيابةً عن الذينَ تركوا يدكِ، وأفلتوكِ بمُنتصفِ الطُّرق، وانتهزوا للتخلِّي عنكِ أنصافَ الفُرص، دونَ سببٍ، أو عُذرٍ، أو بُرهانٍ قاطع...

«أحبُّكِ»... عِوضًا عن الذينَ خذلوكِ، وأهملوكِ، ووضعوا بأنامل يديكِ رجفةً، ورعشةً مِن القادمين...

«أحبُّكِ» بإرادتي البحتة، أو بدونها...

«أحبُّك» بكامل مشاعري القلبية، وقواي العقلية، في تعرِّيكِ مِن سمات الكمال، ومقومات الجمال، ومُفردات الدلال...

«أحبُّكِ» بما أنتِ عليه جُملةً في جميعِ حالاتِك، بسوءاتِك، وبأسِك، وضُرِّك، وانهزاماتِك، وتقلبُاتِك المزاجيَّة...

«أحبُّك» رغمًا عن أنوفِ العالَمين!!

- لن أُسمِيَكِ...

حبيبتي... فالناسُ قد ملَّت تِكرارها، ولن أُناديكِ بعُمري، فلقد وُلدتُ قبلكِ، وأرجو الله أن تُعمِّري ألفَ عامٍ مِن بعدي...

لن أذكُركِ في المجالسِ بحياتي، فحياتي أقلُّ قدرًا ومقامًا دونَكِ، غيرَ أنَّه لا يجوز مُقارنة حياة بحياة...

لن أقولَ لكِ: يا أنا... كما يقولونَ ولا يفعلون، فأنا أنا، وأنتِ أنتِ، فلو أنَّكِ أنا ما اكتمل نقصي، وما ارتوى عطشي، وما قُضِيَت حاجاتي، وما هدأ غلياني، فكما أنَّكِ غيرهُنَّ في نظري، واستثناءٌ في رَوحي، ومُعجزةٌ في قلبي، فسأكونُ غيرهَم معكِ...

سأُسميكِ مأوى، وأناديكِ طبيبتي، وأذكُركِ كما الخير يُذكر، وسأقولُ لكِ في كُل مرةٍ أُحادثكِ فيها: ما جبرني أحدٌ في العالَمينَ سواكِ، يا كُلَّ العالمين...

- يا أميرتي...

اسمحي لي أن أحبك دفعة واحدة؛ كي تعلمي كم أنا ماهر بالحب، جديرٌ بالذكر رغم صغر سني فأنا على يقين تام أن الذين أهدوكِ الحب لم يكملوه، واختزلوا منه كثيرًا لقصصهم الأخرى، لم يعطوك كل ما لديهم من مشاعر صادقة...

ايذني لي أن أحبك دفعة واحدة، وبعدها القرار لكِ، والحكم إليك في اكتشاف الفرق بيني وبينهم...

امنحيني نصف فرصة، ولكِ الأمر والنهي آنذاك ولكن بكل تواضع مني، ومعرفة بقدر قلبي، كيف يعطي، ويمنح، ويهب، فأنا الرابح دونهم وباقٍ حيث أنتِ، حيث الحب الذي لم تسمعي عنه من قبل، إلا في الأساطير وحكايات ألف ليلة...

يا سيدتي... مثلي إن أحبَّ لا يُفارق، ولا يُقارن، ولا يُعوَّض أبدًا... لو تعلمين!!

- فيكِ اجتمعن...

يا سيدةَ النساء الجميلات، وتاجَ رأسِ الفتيات الحَسناوات، وأبهى من يُتودَّدُ إليها في جميع المخلوقات، فيكِ النساءُ اجتمعن أدبًا، وخُلقًا، وعِفةً، وطهارةً، وجمالًا، وحُسنًا، وعلمًا، قولًا، وفعلًا، وحالًا...

وإنْ كانت كُل منهنَّ على انفرادٍ ينافسونكِ فيما تملكين، فالرابحُ معلوم، والسباقُ محتوم، غير أن للجميع أن يُمَنِّى نفسه للحاق بكِ...

لكن، هيهاتَ... هيهاتَ، قُضِيَ الوهم الذي هُنَّ فيهِ يعشنَ، وإليه يسعَينَ، ففيكِ اجتمعت جميعهُن، وما حظيت واحدةً بشيء مما أوتيتِ، إلا كانَ بقاياكِ، أو أضغاثُ أحلام.

- ليتني...

ما تعثرتُ بأحدٍ قبلك، ليت قلبي لم يُخدش قبلك، أعتقد أنه كان سيضُخ الحُب بدلًا من الحُزن، أعتقد أن عيني كانت ستحتفظ بلمعتها وبريقها، لا يُزعجها عمًى، أو يعتريها سهر، أو تُهددها الهالات السوداء...

لو لم أتعثر بغيرك، كانت العصافير ستُغني في كل صباح كعادتها، وتلوح الأشجار بخفة يمينًا ويسارًا، وتلعب الأطفال بعفوية وفوضوية، أعلى شُرفتي دون مللٍ مني...

ليتني وقعتُ بكِ أولًا...

ليتني... وليتني، ولكني الآن على مقربةٍ من الموت، وعلى وشك الانتهاء، والنفاذ، فرصاصات الألم قبلك نفذت داخلي، وتعمقت بجُرحٍ يصعُب الشفاء منه...

لا أقلل من شأنك، وقدرتك، ومساهمتك في مُداواتي، ولكن مَن يُعيد الحُبَّ لقلبي، والعصافير لغنائها، والأشجار لخفتها؟!

مَن يُعيد الأطفال، وعفويتهم؟!

افعلي... إن استطعتِ!!

أنا ناقصٌ... دونكِ...

كل شيء بداخلي يُعلن ثورته، وتمرده، وغضبه...

كل شيءٍ يدعو لمُقاطعتي وهجراني، لوحاتي الفنية التي تدينُ بالولاء إليَّ، طاولتي التي أتناول عليها طعامي، وأحتسي عليها قهوتي، سجادة الصلاة في غُرفتي، مفاتيح سيارتي، وأسطوانات أم كلثوم القديمة، مصابيح الإنارة والستائر، الجميع اتفقوا على أنني السبب في غيابك عنهم، الجميع يلومونني فيكِ، الجميع يشكو خلله، ونقصه، وعلْته بغيابك، الجميع يعاتبونني بقسوةٍ ليلَ نهار، كلما حللت ضيفًا

عليهم، وإن كانوا يأنسون ببعضهم بعضًا، ولا يملكون مشاعري تجاهك، إلا أنكِ تركتِ فيهم أملًا بالرجوع، فكيف بمَن كان لا يخطُر بباله غيابك...؟!

ألم تشعري يومًا أنه مكتملٌ بكل شيءٍ، إلا أنه ناقصٌ دونكِ؟!

في عينيكِ الونس...

ونسٌ كالبيوت القديمة، والشوارع العتيقة، والمساجد المُزخرفة، والكنائس الأثرية المجيدة، وحروف الأطفال حديثي النُطق، وأبراج الحمام الآمنة...

عيناكِ ونسٌ، وقلبي أَنَّ من وحدته واغترابه، وقتما أراد أن يطمئن هرول إليها، في عينيكِ ونسٌ لو وُزِّع على أهل الأرض لكفاهم، واكتفوا به، أدام الله لنا عينيكِ، والونس الذي بهما مقيمٌ وساكن.

سئِمَت مِنِّي الحروف...

وملَّت الحروف، واشتكى من إلحاحي المُبتدأُ والخبر، وما الخبر؟!

كلما هممت باختراع لغةٍ تخصكِ وحدك، أو مفردات تميزك وحدك، أو كلماتٍ ترقيكِ وحدك، وجدتُ قلمي يكتب بثباتٍ حروفَ اسمك التي منذ ألهمتني التعبير، وأفاضت عليَّ بوَحي البوح والإفصاح، لم تسمح للخروج عن حدودها، فأجدها تستعذب حيرتي بدلًا من المرة ألفَ مرة، وكأنه حصار من حروفك لعواطفي ومشاعري...

كم وددتُ لو كُتب كلامٌ يخصك، بعيدًا عن القواميس ومفردات اللغة، فأصنع لك وحدكِ لغة تليق بك، وكلمات تخلو من النحو أو الصرف أو الإعراب، لغة أنتِ فيها الفاعل، وقلبي المفعول به، والفعل جائز ومباح كيفما أردتِ، كم تمنيت أن أجمع كتب العالمين، وأحولها لنسخة واحدة، مدوَّن عليها اسمك، وعلامَتَي استفهامٍ وتعجبٍ فقط؟!

- يا سيدتِي...

حينَ ترتدَي الأخضرَ أقسمُ لكِ أنَّكِ تُشبهينَ غُصنَ الزيتونِ العالقِ بشجرةِ سلام، يجذبُ إليهِ القلوبَ جذبًا، ويحطُّ عن المُتعبينَ تعبًا، ويُثيرُ دهشةَ المُقيمين، ويُحيِّر لُبَّ المُسافرين. حينَ ترتدين الأخضرَ، استعيذي بربك ألا تفتِني العابدين، أو تُحيِّري بدلالكِ الزاهدين، دَعي النُسَّاكَ وشأنهم، تحدثي مع العالم بحذرٍ من خلفِ حجابٍ كي لا يطمعَ الذي بقلبهِ مرض. حينَ ترتدين الأخضرَ، تُشبهينَ وقتها إشارةَ المرورِ اللافتةِ للنظر، الجميع يتلهَّفونها مُنتظرينَ العبور، تُشبهينَ ورقاتِ الصَّفصاف الظَّليلة، الكُلُّ يشتهي ظلَّها. تُشبهين آخرَ سُنبلةٍ خضراءَ في أرضٍ فلاةٍ جفَّ نبعهُا وليس للزارعين أملٌ سواها.

حينَ ترتدينَ الأخضرَ ترفَّقي بنا وترحَّمي علينا وتمهَّلي من أجلنا. هذا أخضرُكِ أطاحَ بنا عِشقًا فكيف بأزرقَ كسماءِ روحكِ، أو أحمرَ كجمرِ شَفتَيكِ، أو أسودَ يُشبهُ الكُحلَ القابعَ في عينيكِ. رِفقًا بنا سيدتي.

- واللهِ...

لا أدري ماذا تفعلين بي كلما مررتِ بخاطري...؟!

كُلُّ ما أشعُر به حينها أنكِ أنتِ الفتاةُ الوحيدة التي تستطيع أن تحوِّلَ اليابسَ بداخلي إلى أخضر، تُحاصرين يأسي بسور الأمل، أتذكَّر آيات الرحمة، وأتلوها في حضورك، تُضيئينَ العتمةَ في ضلوعي، وكأنَّ العالم كلهُ يسعني، والدُنيا تحتفي بمرورك داخليَ، أنتِ لا تمُرِّينَ بداخلي فحسب، أنتِ مُقيمةٌ بي، وساكنةٌ في، أنتِ نِعمةٌ مِن اللهِ وفَضل.

- صِدقًا...

لا أستطيعُ البوحَ عمَّا بداخلي تجاهِك، ولكن يُمكنني أن أقول: حينَ عثرتُ عليكِ؛ جُبر قلبي وكأنَّ كسرًا لم يمسسهُ قطُّ...

أنتِ الوحيدةُ التي لم تملَّني مطلقًا، لن أنسى وقتما كنتُ أتحدثُ معكِ عن أشيائي السخيفة، فتنزعجِين وكأنَّ الدُنيا قامت ما قعدت، كانت أتفه الأشياء عِندي مصائب لديكِ...

حينَ عثرتُ عليكِ طبطبَ العالمُ على كتفي، وتبسَّمت السباعُ في جحورها، وتبدَّلت مخاوفي لطُمأنينةٍ وسلام...

حين عثرتُ عليكِ؛ تذكَّرتُ «ولَسوفَ يُعطيكَ رَبُّكَ فَترضَى»...

أمَا وإنِّي الآن بكِ قد رَضِيت، أمَا وإنِّي الآن بكِ قد كُفيت.

أعتقد أنكِ لن تكبري...!

سيشيبُ الناس حولكِ، وتتجعَّد ملامحهم، وتبدو علامات الكِبَر عليهم، وسيندبون شبابهم في الأيام الخوالي، وسيندم كلٌّ منهم على ما مرَّ وفاتَ دون استمتاعٍ، أو اغتنامٍ، ولكنكِ ستبقين صغيرةً كما أنتِ، لافتةً للنظرِ آنذاك...

ستبقى ملامحكِ كأغصانِ الزيتونِ رغم طولِ عُمرها إلا أنها جذابةٌ، جميلةٌ وقويةٌ...

سيتركُ فيكِ زهرُ الشباب أثرًا لا يمحوهُ الشَّيب...

سيقع فيكِ الناسُ من الوهلةِ الأولى؛ لتفرُّدكِ، وتميزك، واختلافك في الحُسن عن الآخرين...

ستكونُ عيناكِ كأعمدةِ الإنارة؛ تهدي الحيارى ليلًا، وضَّاءٌ نورها؛ تسرُّ الناظرين...

وستبقى يداكِ كما هي، رقيقةً، ناعمةً، يغلُب على أطرافها حِلَقِ الذِّكر، مَن يلمسها يرقَّ قلبه، ويطيش عقله، ويُعلن فيها سلامه، واستسلامه...

حين تكبرين... ستبدين أجملَ، وسيجعل الأطفال من بين نحركِ وسحركِ ليالي عُرسٍ وهميةٍ، تَخلدُ في ذاكراتهم للأبد...

لن تكبري عُمرًا؛ بل ستُعمِّرين قمرًا.

- أتعلمين؟!

أنا لا أراكِ مثلهُم، ولا أحبك مثلهم، ولا أغارُ عليكِ مثلهُم، هُم يرونكِ بأعينهُم امرأةً عادية، بينما أنا أراكِ

بقلبِ أُمٍّ ليسَ لها مِن جبر خاطرها سِواكِ، هُم يحبونكِ حُبًّا تقليديًّا باردًا فقط حين تكونينَ سعيدة فرِحة، أمَّا أنا أحبكِ حُبًّا فريدًا مِن نوعه يغلُب عليه حُب الأطفال للسُكر، حتى وإن سقطَ مِن أيديهم فخالطه التُراب أخذوه ولعقوا به قلوبهم قبل ألسنتهُم، أحبكِ في جميعِ حالاتك، وفي أسوأ حالاتك، في انطفائك وشحوبك وضعفك وانهزامك وتقلُباتِك وتضارُب الأوجاع في ضلوعك، أحبك بما أنتِ عليه وبما ستكونين أيضًا عليه، أحبكِ كآخر نجمة في فلكٍ دوَّار يهتدي بها عابر سبيل توقفت الحياةُ عليه، هُم يغارون عليكِ من باب الواجِب وسد باب شعورك باحتياج الغيرة ليسَ إلَّا، بينما أنا أغارُ عليكِ كبضعةٍ منِّي أو كُلٍّ لبعضي، كالتي تتوضأُ مِن دمي وأخشى عليها التيمُّمَ بزمزمَ غيري، أنتِ لو تعلمينَ حدثٌ فريد في صحائف يومي، ومن أجلكِ اضطربت مساراتِ النبض بداخلي حتى صِرتُ لا أعلم كيف فيها العِشقُ يسري، أنتِ وحدكِ التي يليقُ بها معزوفة حليم حينَ أبدعَ: «جلَّ مَن سواكَ يا عُمري»، لو تعلمين!! آهٍ... لو فقط تعلمين!!

- ابتسامةٌ واحدةٌ تكفي...

واحدةٌ فحسب تكفي...

واحدةٌ فقط... كفيلةٌ بإزالة الحُزن الساكن بضلوعي، وإذابة العجز المُنفرد بالعزف على أوتار قوتي وصلابتي، وإزاحة الستار عن مُعاناتي في غُربتي...

ابتسامةٌ واحدةٌ تكفي...!!

أظُنها لا تكفي، ولا تشفي، فمَن يُهمل النِعم يجازى بفقدها، وابتسامتك نعمةٌ لا تُعدّ، وخيرٌ إن شُكِر زاد...

أيُّ عاقلٍ يستعظم البرَّ؟!

أيُّ عاقلٍ يكتفي منكِ سوى بكِ؟!

أيُّ عاقل يرجو النجاةَ ولا يغرق فيكِ؟!

ابتسامتكِ وحدها خارطةُ طريق، أصبِّر بها جوارحي، وأضيء بها عتمة وحدتي، وألوي بها ذراع وجعي...

ابتسامةٌ واحدةٌ منكِ دَيْنٌ، وأنا طامعٌ في ابتسامات، غير أني في قضاءِ الديونِ غيرُ أمين...!

- رجاءً...

ابقي محل نظري، لا تبتعدي، ولا تتعمدي بُعدًا، أو غيابًا، وأنا أعدُكِ أنكِ لن تملِّي منِّي أبدًا؛ سأتجدد لكِ قدر استطاعتي وسأغير لكِ جلدي إن أردتِ، وسأسرد لكِ الحكايات اللطيفة، التي لم تسمعي بها من قبل، فأنا أختزل بداخلي ألفَ عامٍ من الحكايات التي لو سمعتِ واحدةً منهن؛ لأخذك الفضولُ لسماع الأُخريات منها...

سأجعلكِ البطلة في كل الحكايات، ولك من ترتيب الأحداث الأخرى ما شئتِ، المُهم عندي في النهاية أن يُسدل الستار وأنا بجوارك، أو ناظرٌ لعينيكِ...

ابقي هُنا دوًما وهُنا تعني «رَوحي»...

ابقي بردًا لقلبي، وسلامًا لرَوحي، ونورًا محل عيني ونظري.

- يا سيدة التوليب البنفسجي...

يروقُ لي أن أراكِ تجمعين ذاك التوليب، الذي كثيرًا ما يُشبهكِ، وكأنه بضعةٌ منكِ، وكأنه هو الذي يجمعكِ وليس العكس، وليس العجب في ذلك بل العجيب الغريب في الأمر، أن ينتحل شخصيتك في كامل هيئتِها برضًا تام منكِ، أو بدون سابق إذنٍ منكِ، كيف له أن يجعل الأمر يختلط عليَّ دون قيود، أو إدانة، أو قضية، يُتهم فيها بسرقة حقوق الملكية للجمال والرقة؟!

والأعجب أنكِ تُساعدينه، وتسقينه، كأنكِ تمنحينه الأمان كي يفعل ما يحلو له...

يا سيدة التوليب البنفسجي... سبحان من سوَّاكِ...

كفاكِ تواضعًا، هل يجمع الزهر نفسهُ بنفسهِ؟!

- إنَّ الوصلَ منكِ...

إن جاء بعد جفاء، بلا مواعيد مُرتبة، أو أحداث مُسبقة؛ يُعيد توازُني ويُحيي الأمل المُلقى على يأسه بداخلي...

وصلكِ بعد جفاء يُشبه جرعةَ حياة زائدة عن الحياة، لا يدركها أحد مثلي، ولا يفهمها أحد غيري، فأنا المقتول فيكِ سهوًا، وأنا القاتل بكِ عمدًا، وأنا في قضايا هجرك وقطيعتك متهمٌ، ليس معه أدلة أو براهين تثبت براءته، إلا أن الله يسمع دعواتي، ويرى عَبَراتي التي تتوقف إذا قصدتِ حيرتي ولوعتي في أشياء أنا جاهلٌ بفعلها، فلو أني أعلم كيف أتجنبها ما فعلتها، ولنجوت من جفائك، وهجرك...

يا سيدتي... مثلي يموت خصامًا، وهجرًا، فأحييني بوصلكِ وتفضَّلي.

- في غُربتي...

أراكِ في أعين الناس، وملامحهم، وكأني أبحثُ عن تائه ضلَّ، أو ضاع مني...

أفتشُ عن عنوانك القديم المُرفق بذاكرة الأيام، التي لم تمتلئ يومًا إلا بكِ...

أراكِ تبتسمين مرة، وتبكين مرة، والسبب مجهول...

أراكِ في مُنتصف الطرقات، وفي أضواء السيارات، وإشارات المرور، وهدايا الأطفال...

أراكِ من غربتي رغم كثرةٍ من حولك غريبة، وأراني رغم وحدتي في غُربتي كثيرًا بكِ، طيفك معي يحوم حولي ليل نهار، ولا غربة في مكان يزوره طيفك...!

- الناس...

يقطعون المسافات بأجسادهم كي يصلوا لمُرادهم ومُبتغاهم، بينما أنا أقطع بالشوق مسافات، مسافاتك التي لا تَعنيني في شيء، ولا تثير شجوني في شيء. وقتما أردت وصلكِ، أو اشتهيتُ منكِ وصلًا؛ أحضرتكِ قلبًا ورَوحًا، أو شعورًا، فبرغم مسافات إلا أنكِ هُنا... فشيءٌ منكِ هُنا، أو ربما كلك...

- تفاصيلُكِ...

تُدهشني، وتُثير إعجابي وفضولي...

تفاصيلك... تُلهب مشاعري، وتُطرب فؤادي...

تفاصيلك... تُرعبني، تخيفني، تجبرني على البوح والصمت في آنٍ واحد...

تفاصيلك... تطرحني في غياهب الحُب...

تفاصيلك... تأخذني، تأسرني، تطيش بالعقل...

تفاصيلك... نادرة، ساحرة، قادرة على موتي وإحيائي...

تفاصيلك... جديدة، فريدة، لا شبيه لها في بني البشر...

تفاصيلك... تُزلزل أركاني، تعبث بجوارحي، وتفعل بقلبي الأفاعيل...

تفاصيلك الدقيقة... يتخللها تفاصيل؛ وأنا أتأملها، فأنظر، وأناظِر، وأنتظِر.

- حتى خُصلات شعركِ...

أعرفها جيدًا، وأعرف لونها، وأحصي عددها، وأستطيع أن أميز بين الجميلة فيها، والتي أجمل منها،

أعرف كم طولها، وكم تحصرين منها في يديك حين ينسلُّ على كتفك وعاتقك، وبالرغم من أني لم أحظَ إلى الآن برؤيتها، ولم يَكتب ليَ الحظُّ لمسها، إلا أنهم يأتون بالخيال عندي كل ليلةِ تمامٍ للقمر، ويُقسمون لي أني ذات ليلة سيكون ليدي على حُسنهنَّ موضِعٌ.

- نيابةً عن غائِب...

ما زلتُ «أحبك»... وأتلهف لرؤية وجهك المُزخرف بحروف البراءة في طُرقاتي...

ما زال قلبي يُصارعني من أجلك..

ما زالت يدي ترتجف في ليالي نوفمبر؛ بحثًا عن يدك...

ما زلتُ أحِنُّ، أبحث عنكِ في درجات الحرارة، ونشرات الأخبار، والحديث في الموضة...

ما زلت أتفقدني بين خُصلات شعرك، وأشم العطر الباقي من أثرك، وأنتظر طلوع الفجر من عينيكِ؛ كي يستيقظ قلبي للسعي، عساه يُرزَق بكِ...

ما زلت «أحبك»... أما زلتِ تتذكرين حُبي، أم أنني زِلت...؟!

- أرفضُ وبشدة...

تقمُّصي دور البريء، الذي يخجل أن يعترف لكِ أنكِ بضعة منه، أو مُضغة بين أسنانه، وهو الذي لم يأكل منذ قرنٍ ونصف، ولم يتذوق طعمًا للأنوثة، حتى كاد أن ينسى كيف تُطهَى وكيف مذاقها، أرفض ذلك وبشدة، وأريد أن أكون المُتهم، الذي اقتحم عفويتك، واسترق براءتك، ومَثَّلَ بكيانك، ولم يدَع في جسدك جارحةً، إلا وترك عليها بصمته، كل الأدلة ضدي، ولكن إلى الآن لم تثبت إدانتي، فالمُعتدَى عليها ما زالت متحفظةً بحيائها، وصمتها، لم تبُح بعد.

- دعيني أقول...

لو أنَّ كلمة «حواء» التي أنتِ تنتمين إليها تُهمتُكِ، أو جريمتك، أو ذنبكِ؛ لوددتُ أني في بني آدم قاضٍ يحكم ببراءتكِ من أولِ جلسةٍ، دون الاستماع لشهود،

جلسة واحدة وأخيرة، أعلن فيها أن البراءة لا تليقُ إلا بكِ، وأن ما نُسب إليكِ من تُهمٍ مُلفقةٍ فقط من باب الغيرة، والحسد، أو بدافع الظُّلم، والبُهتان، مع سبق الإصرار والتعمُّد...

حتى لو افترضنا أنكِ أخطأتِ، وأنت على ذمة القضية، فالذي تاب على آدم يتوبُ عليكِ...

وأختم جلستي بتقبيلِ رأسكِ، دون الرجوع للمُستشارين وأقول: «حواء» بريئةٌ رغم ما نُسبَ إليها إلى قيام الساعة...

رُفعت الجلسة.

- أنتِ في عَيْنَيَّ (قـ مـ رٌ)!!

حلَلتِ أيَّامي بعد حذف القافِ، وبدَّلَتِ وحدتي بسِينٍ، حِينَ تشتهين أُلبِّي بألِفٍ، وحين تهجرين أستعِين بصادٍ وباءٍ بعد حذف المِيم، أمَّا حِينَ تصفِين، فأقسِمُ أَنَّ الحياةَ تزدادُ مِن بعدِ العَيْنِ عَيْنًا، أنا الضَّالُّ دونَكِ، وأنتِ الطريقُ، والدَليلُ، والهُدى.

- لا أجيد المجاملات...

وكل ما في قلبي ينطق به لساني، ويبدو جليًّا على تعبيرات وجهي، إلا أنني حين وقعت فيكِ أصبحت شاعرًا رغمًا عني كي يليقَ بكِ مدح الجمال، واستثناء الشعور...

ترتيب مواعيد الغرام بداخلي تغيرت من الحاء إلى الباء، كما لو أنني وقعت بغزالة برية...

أصبحتُ أمتلك ألف شعورٍ مختلف، واحد للناس، والباقي اختزلتهم من أجلكِ... فهل في ذلك إثمٌ أو حرج...؟!

- حين أتخيَّل نومكِ...

يكاد عقلي أن يُجَن، وقلبي يقفز من صدري، وتختل جوارحي وتختلف ضلوعي، أراكِ تُغلقين عينيكِ، كأن الرحمة أسدَلت ستائرها عن الدنيا، فتحتضني وسادتك برفق، وتتنهدي بعُمق، وينسابُ شعرك الغجري على وجهك الملائكي، وتلتحفين الورد، فيصبح مضجعك مطرزًا بإكليل ياسمين مُطرز بالزمرد

الخام، فيهرب الشوق من أسفل عتبة غرفتك لمكان تصوري وخيالي، حيث السجن الذي لا حرية فيه، أو العذاب السرمدي.

- ثم إنَّكِ...

منِّي، طوعًا وكَرهًا، ورضًا ورغمًا، ولا أحدَ يستطيع أبدًا المساس بالرُّكن الخاص لكِ بداخلي، أنتِ وحدكِ التي يليقُ بها أن تُستثنى عن الجميع، كأي شيءٍ في الحياة لا شبيه له، كالقمر، والعُمر، وزهرة تشرين، وفرحة الأمهات بأول مولود، وشعور التائب بلذة أول صلاة، وابتسامة مريض يئسَ مِن عافيته وبرؤَ، ولهفة مُتهم لسماع القاضي يقول: حكمت المحكمة ببراءة فلان بن فلان، وفرحة الأطفال بالسُّكر...

أنتِ في محراب الدُنيا قِبلتي ووِجهتي، واستفتاحُ دعواتي.

فيا حُلوتي، أشهدُ أن كُل جميل يليقُ بكِ وحدكِ ولكنكِ كثيرٌ على كُل جميل.

- لستِ أجمل الفتيات اللاتي عرفتهُن...

ولا أحلاهنَّ من حيث ملامح الوجه أو رشاقة الجسد وقوامه، ولا أستطيع أن أخدعك فأقول أنكِ فاتنة للحد الذي يجعلني لا أعرف رأسي من قدمي بمُجرد النظر إلى عينيكِ، فتاريخ حياتي حافلٌ بالكثير مِن اللواتي يمتلكن من الرقة والأنوثة والجمال ما يجعلهن يسبقونكِ إلى قلبي بألف سنة ضوئية، ولكن... دعيني أخبِركِ بشيء خطير قد يجعلُكِ تتعجبينَ من أمري: إنَّ الكمال يا سيدتي في الحياة عامةً وفي النساء خاصةً يُثير غضبي واشمئزازي، ويأتيني بالغثيان الذي لا علاج له إلا التجاهُل أو الإعراض، فكُل مَن يحاول التجمُّل أمامي لجذب انتباهي أجعله خلفي، وكل مَن حاول لفت نظري بطريق غير مُباشر غضضتُ الطرف عنه برضًا تام بطريقٍ مُباشر.

أنا يا سيدتي مُغرم بالاختلاف والتميُّز في النواقص التي لا تُثير اهتمامًا لأحد، أعشق في المرأة روحها ولا

اعتراف لي بالجسد الفاني، دائمًا أحسبها بالعقل، أنَّ كُل ما سيذهب لا محالة لا يجب تغيره بالأمر أو فرض السُلطان عليه، وبرغم أني مُرتَّب جدًّا، ومهووس بالتفاصيل، وأكره الفوضى وأهلها إلا أنني أهوى اللوحات الفنية المُبعثرة ولي فيها نظرة مُختلفة، أعشق في الليل سواده الحالِك بينما الناس يتطلعون إلى خيط الفجر الأبيض، أحب في القهوة بذورها المُرَّة بينما الناس يتحاكون بلذتها، ترتوي روحي بصقيع ديسمبر بينما الناس يتأفَّفون من البرد، تذوب روحي في البساطة والعفوية المفرطة؛ لذلك أحبكِ بما أنتِ عليه ولا أريد منكِ إصلاح شيء أبدًا سوى أزرار قميصي حين تقُدِّيه قُبلًا أو دُبرًا، لا أريدك أن تَكترثي بالعطور أو أدوات الزينة أو طلاء الأظافر التي لن تَزيدك في نظري حُسنًا، فهكذا بكِ رضيت، أحبكِ لطهارة قلبك الذي يضُخ زمزمَ مكيًّا، مَن شربَ منه ارتوى واكتفى، أعشق فيكِ الخجل والبساطة والهدوء والمزاجية والكركبة الداخلية التي لا يُجيد قراءتها غيري، أحبكِ بكامل

فوضويتك وأشيائِك المُبعثرة وغموضك القاتل وأناملك المُرتجفة وأظافر قدميكِ المُربَّعة، أحبك جُملة وتفصيلًا لأنكِ لا تُشبيهنَ أحدًا ولا تنتمين لأحد، أحبكِ بكُل نقصٍ بداخلي رأى النقصَ فيكِ فاكتمل.

- في الحُب...

نحن حُفاةٌ عُراةٌ، نخلع من أقدامنا التوقف عن السير نحو من يشير إلينا فقط، ونضع عن عاتقنا ثياب التفكُّر والتمهُّل في الاختيار، دون النظر للنتائج، أو للعواقب الوخيمة، أو النظر لآخر الطريق الذي عزمنا على السير فيه، فقط تدق قلوبنا فترقُّ وتحنُّ، وتسعى نحو الحبيب خطوات مجهولة المصير، نهملُ ثوب اليقين والبحث والتدقيق، ونميل ميلًا عظيمًا، ومن ثمَّ ينكشف أمرنا، ويُفتضح سترنا، وتُصبح سرائرنا مُعلنةً، مهما حاولنا إخفاءها، والتحكم في المُضِيِّ حُبًّا ناحية الذي وقعنا به، أو الذي وقع فينا...

نحن حين نحب يَستأجر قلوبنا أشخاصٌ يفعلون بنا ما يشاءون، كما فعلتِ أنتِ بي.

- نحنُ...

لسنا بحاجة للحُب قدر احتياجنا للفَهم...

الحُب عُملة ذات وجهين، إمَّا أن تُنصَف فيه فتسعد، أو تُظلم فيه فتشقى...

الحُب إن خلا مِن التفاهُم والانسجام يكن بلا نكهة، أو مذاق طيب، كالسُّم في العسل، كنجومٍ بلا سماء، صحراء بلا ماء، رضيعٍ بلا أُم...

أن تُحبني... يعني أنك تفهمني، وتصبر، وتتصبَّر على طباعي، وتقلُّبات مزاجياتي واحتياجاتي، تفهم مقصدي مِن صمتي بلا شرح، وغضبي بلا ذمٍّ وإرضائي بلا شُكر...

أن تعيَ قدري بالفعل، وتفعل ما يجعلني أفهم عندك قدري...

أن أشعُر أنني قطعةٌ منك، لا غنى لك عنها أبدًا...

افهمني، ثم أحبني، أمَّا العكس فأمرٌ شاقٌّ للغاية، قد يُسدِل ستائر المودة عاجلًا، وتبقى الأسباب معلومة لديَّ، مجهولةً لديك، وهي أنك أحببتني بلا فهم!... افهمني.

- الكلمات...

التي تقرؤها عيناك صُدفةً دون ترتيب منكِ، هي أصدق الكلمات التي قد تقرأينها طيلة عُمرك، حتى وإن كانت لم تُكتب من أجلك، تلك الكلمات التي شعُرتِ أنها على مقاسك وسِعتك، الكلمات التي تمنيتِ أن تُكتبَ لكِ وحدكِ، وينفدُ فيها الحبر من أجلكِ وحدك، الكلمات التي وددتِ أنها ملكك وخاصتك وحدك... أليس كذلك؟!

ها أنتِ الآن تقرأين، وما خطَّت يدي تلك الكلمات إلا من أجلك وحدك... أراضيةٌ عني؟!

❋❋❋



- لماذا هي...؟!

عنها... لا يكفي حديث، تحتاجُ إلى ألفِ عامٍ أو أكثر كي تفهمَها فقط...

تُشبه في البراءة الفراشات، والأم في الحنان، لا تُعطي إلَّا إذا أحبَّت، لو وضِعَت في شلالِ زمُرد خام لعجزتَ عن فصلِها، قريبة لمَن أرادت، بعيدة كالسماء لمَن لا تُطيق، مزاجيَّة كالأطفال؛ ويكأنَّ مبدأها في الحياة... «السهل المُمتنِع».

لمَاذا هِي...؟!

لا أعرف، ولكنَّها تُساهِم مُساهمة فعَّالة في شفائي، أستطيع أن أصفَ قلبي بشكلٍ دقيق عندما أنغمس في الحديث معها، إنَّه يُضيء!

- لماذا هي...؟!

بريئةٌ جدًّا، لا تنتمي إلى لؤم العالم البتَّة، طفلة عاقلة، تروي ظمأ قلبي بفوضوية وثبات، مزاجية، ضمَّة كفَّيها كفيلة أنْ تُشبِعَ لهفتي وحاجتي.

- لماذا هي...؟!

لا أعرف، ولكنها تُربِكُ مشاعرك مِن الوهلة الأولى، تتجلَّى في حضورها وكأنك آمن، لو نَظَرَتْ إلى البُقع المُظلمة بِروحك بحُبٍّ ورضا، فثَمَّ إنسانٌ يصنعهُ الله على عينِها مِن جديد...!

- لماذا هي...؟!

تُحفة ربانية، لُطف العالم أقسمَ باحتلالها على حينِ غفلةٍ منها، بريئة كأحضان الأطفال، ولهفة الأُمهات، كالغُزلان لا تملَّ النظر إليها...

إنَّ الذي يراها للمرة الأولى عليه أن يتوخَّى الحذر منِ الوقوعِ فيها حُبًّا، فثمَّةَ شيءٌ في ملامحها يجعلك منبهِرًا...!

حاشا للبراءةِ هذهِ أن تكونَ بشرًا مثلنا...!!

- لماذا هي...؟!

بريئة كالأطفال، قنوعة لأبعد حد، أبسط الأشياء تُسعدها، إذا رضِيَت كالبدر يبدو وجهها، وإذا غضِبت فالورد يسكُن خدَّها، تُساهم في إعادة بنائي بطريقةٍ يصعُب شرحها...

كالعقاقير الشافية تمتصُّ تعبي دونَ شكوى أو ملل، إذا نظرتَ إلى وجهها فكأنَّ آيات الرحمة تتنزَّل على قلبك واحدةً تلوَ الأخرى...

لا تُقارن بأحد، ولا تُشبه أحدًا، التسعة وثلاثون شبيهًا لها اجتمعنَ في واحدة...!

لماذا هي...؟!

فلتةٌ في جنس البشر، كنوادر الأحداث، لا تدع مساحةً لغيرها إنْ أحبَّتك، غيورةٌ جدًّا كالأمهات، صبورةٌ جدًّا كالعابدات...

هي دونَ غيرها رداء الأنوثة صُمِّمَ من أجلِها، جميلة الشكل والرَّوح، رقة الدُنيا سُجِنت في ملامحها، أعتقد لو أنَّ العالم فقدَ النورَ ذات ليلة لقصدوا عَينيها في مُهمةٍ إنسانية...!

- لماذا هي...؟!

تُشبه الأعياد، يشتاقُ الناس لبهجتها، فمُجرد وجودها يجعلك تشعُر بالسرور...

لو تحدَّثَتْ إليك لتمنيت ألا ينتهي كلامُها، تُشبه لحظة الأمان الأولى بعد عامٍ كامل مِن القلق، تُكفيك وتُغنيك، وتزرع في قلبُك الرضا طوعًا وكرهًا...!

- لماذا هي...؟!

بريئةُ الملامح كعصافير الزينة، تُشبه لحظات الراحة بعد سفرٍ طويلٍ شاق، إذا سهوتَ في الحديثِ معها، فكفَّارة ذلك أنَّ تلزمَ مِحراب عَينيها مُستغفرًا الله عمَّا فاتك...

هي دون آلاف الإناث التي إذا اختلطت ضحكتها بأحزان الدُّنيا لانتهت وذابت...!

- لماذا هي...؟!

أُمها طيبة، وأبوها رحِيم، وأخواتها كعِقد اللؤلؤ المنفرط، فمَن تكُن...؟!

أظُن لو خالطت براءتها لؤمَ الدنيا، لتحولت لعفوية تُشبه ضحكات الأطفال، وقطرات الندى التي لم تُعلِن عن سقوطها على أوراق البردي بعد...!

- لماذا هي...؟!

لقد عاشت بداخلي قدرَ ما عاشت، وما مللتُها يومًا، كانت وما زالت أجمل امرأة مرَّت عليَّ...

ما شكت أمرًا قطُّ إلا غيابي، وما سعت إلا لراحتي، ما اشتهت ولا تمنَّت إلا خيرًا أُلاقيه...

كانوا يحسدونني عليها، وأنا جاهلٌ بالنِّعم، كانوا يرون فيها الطُّهر، وأنا من الطُّهر أتوضَّأ...

هي الوحيدة التي ساقها الله لي وما انتبهت، لقد أتت ومعها الخير في ضلوعها مجرورًا إليَّ جرًّا...

مثلُها كالعُمر؛ لا يأتي إلاَّ مرةً واحدة، إما أن يُعاش فيُنعَم به، أو يُهمَل فيُندم عليه، مثلُها إنْ تخلَّل يستحيل مروره، أو يصعُب نزعه، هكذا يراها قلبي، وقلبي أعمى إن أحبَّ أو عَشِق!

- لماذا هي...؟!

طيبتها زائدة عن الحد المعقول، رقيقة الحِس والشعور، تشعُر ببرد في كفَّيك إنْ صافحت خيالها، تُعطي الأشياء حقها بلا نقصٍ أو خلل، تجعلك مُطمئنًا كلحظة أمانٍ جاءت بعد ألفِ عامٍ من القلق، لو وُضِعت بين زهور العالم؛ لعرفتها مِن أول وهلة، في ملامحها قبولٌ؛ لو وُزِّع على أهل الأرض لكفاهُم!

لماذا هي...؟!

تكوينها لافتٌ للنظر، قلبها ينبض باللين لا الدم، عقلها كحجر رشيد، تحتاج إلى مُعجزة لفك شفراته، نرجسية يحتار فيها ابن خلدون، مُرتَّبة لدرجة تُخيفك، فوضوية لدرجة تُرعبك، غير أنها تستطيع بعثرتك وترتيبك في آنٍ واحد، رقة وجبروت بامرأةٍ اجتمعا!

- لماذا هي...؟!

طَيِّبةٌ كرَذاذِ المطر، لا تُؤذي أحدًا، مزاجيَّةٌ كالأطفال، إذا فرِحت بكَت، وإذا حزِنَت بكت، عفويَّةٌ كإلقاء السلام، عاقِلةٌ كالأمهات...

تستطيعُ أنْ تُغرقكَ وتنجيكَ في آنٍ واحد، لديها القُدرةُ على أنْ تجعلَكَ تُقسِمُ أنَّ الله لَمْ يخلُق إناثًا غيرها!

- لماذا هي؟!

فتاةٌ على هيئةِ جَبر، أقلُّ ما يُقالُ فيها إنَّ لديها مقدرةً رهيبةً على امتصاصِ الحُزنِ القابعِ بقلبك، ليس ذلك فحسب، بل تقومُ بتحويله إلى فرحٍ خام، فيها من جَمالِ الرَّوحِ ما يجعلُ أعمدةَ الإنارةِ في الطُّرقاتِ

تحتفي بخطواتها، ما خالطت أحدًا إلا وتركت فيه أثرًا جميلًا لا يُنسى، بسيطةُ المُعاشرة، مُعقَّدةُ الفهم يصعُب شرحُها، شديدةُ الخجل على مهلٍ، سريعةُ الغضبِ على غزلٍ، أبسطُ الأَشياءِ ترضيها، فإذا رَضيَت لانت، وإذا لانت مالت، وإذا مالت أحبَّت، وإذا أحبَّت أعطت، وإذا أعطت فاضت، فلا حاجةَ لكَ بالعالمينَ بعدها.

- لماذا هي؟!

دعني أقولُ لكَ أنها عاديَّةٌ جدًّا، إلا أنَّ ثمَّةَ شيءٌ فيها يجعلُكَ تراها مُختلفةً تمامًا عن غيرِها، الأنوثةُ في ملامحها مُحاطةٌ بسورِ حَياء، البساطةُ فيها مُرَقَّمةٌ بأعدادٍ تصَاعُديَّة؛ كُلما كبُرت اتضحت معالمُ براءتِها، مزاجيتُها تقلبُ كيانكَ رأسًا على عقب، تبكي وتضحكُ في آنٍ واحِدٍ حتى تشُكَّ أنكَ السبب، تُحيِّركَ في أمرها، تُدهشُكَ بعطائها، تُشعلكَ وتُطفِئُك بنظراتِها، لها ضحكةٌ تأتي بالقلبِ العاصي تائِبًا مُطيعًا. هي عاديَّةٌ حتى إذا خالطَ خيالُكَ الواسعُ حقيقتَها، أقسمتَ أنَّ نساءَ العالمينَ فيها اجتمعن.

- لماذا هي؟!

سُبحانَ مَن أسكنَ البراءة في معالمِها، ووضع القَبول في ملامحها، وأراحَ قلوب المُتعَبين برؤيتها، تشعُر وكأنَّها الصواب الوحيد في كمٍّ أخطاء البشر حولها، تُحفة أنوثة نادرة، تضحك بحُب وتحزن بعُمق وتُعطي بسلام وتمنع لعُذر، آخر حبَّة توت في شجرة أمان، كثيرات حولها يدَّعِينَ أنهنَّ الأجدر بالغزل والمدح، ولكن بالنظر فقط إلى عينيها حين تضيقان وهي تبتسم على مهل ستُدرك مَن يستحِق، هي إن شئت قُل: فصٌّ زمُرد خامٍ، صُمِّمَ بدقَّة بالغة ليُسعدَ الدُنيا كُلَّها.

- لماذا هي؟!

لا أعرف، ولكن أستطيع القول بأنها آخر شُعاع أمل في مجرة بؤس، إذا ضحكت استنار وجهها كالصُبح، وإذا حزنت فذاك ليلٌ طويل، تُشبه نوافذ البيوت القديمة في الأصل، تمشي على استحياء، وتجلس على استحياء، كُتلة حياء خام تحولت إلى بشر، تُفكر بعُمقٍ رهيب

كأن عقلها مركز الكون، تهوى العُزلة ولا تُطيقها، تُحب الناس وتخشى فراقهُم، في خطوط جبينها مواقيت الفرح، عن عروق يديها الخضراء وجمالها حدِّث ولا حرج، تمنحك ما تفتقد وإن كان آخر ما لديها، يمكنها إضاءة البُقع المُظلمة بقلبك بعينيها فقط، والخُلاصة أنها بذاتها واحدِة ولكن نساء الدُنيا فيها اجتمعن.

- لماذا هي؟!

تُشبه أمي في الطيبة، النظر في عينيها بمثابة هُدنة سلام مع العالم، لديها فستانٌ أسود مُطرَّز بخيوط الرحمة أوقعني بها من الوهلة الأولى، تُساهم في ابتلاع أحزاني كُلما مسَّ كفَّاي كفيها ولو خيال، تعشق الأطفال والكارتون وغزل البنات، هي التي لا يليقُ الغزل إلا بها، لها اسمٌ كحبَّات السُكر يُجرِي ريقي كالمُسافِر الصائم، عامةً هي بنت وفي قلبي سِت البنات.

- لماذا هي؟!

تُشبِه قارورةَ العِطرِ الخام الذي يجتاحُ حواسك الخمسة دُفعةً واحِدة، إن عرفتَ قدرها فقد أتتكَ الدُنيا

وهي راغِمة، وإنْ كسرتَها أو أهملتها فقد تَشُمَّ مِنها بِلا شَكٍ رائِحَةً لَطِيفَة، ولكنَّها المَرَّة الأخِيرة، فمثلُها تُعطي بحُب، وتمنَح بلُطف وتَهب بدون مُقابل، حتى إذا أعرَضَت وامتنَعت فثمَّ حِرمانُ العالَمينَ للعالَمينْ.

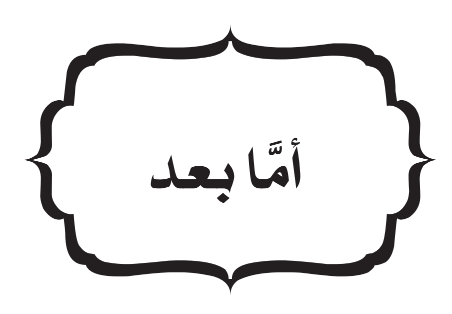
- لماذا هي؟!

كانت أبسط الأشياء تُسعدها رغم أنها تُسعِد كُل الأشياء حولها، تحسبُها جامِدةً وهي أشدُّ رقةً مِن خيوط الحرير الخام، تخجل مُن رد السلام، كأنكَ تطلبُ يدها، لها ضحكةٌ لو نزلت على صخرٍ صَلب أصمَّ لتشقق وأزهر، عاقلة كالحكماء مجنونة كالأطفال يحتارُ لُبكَ في أمرها، لا يستطيع أحدٌ المساسَ بركن قلبها الذي تضع فيه من تُحب، إن فرحت تغنَّت الدُنيا طربًا، وإن حزنت فذاك ليلٌ طويل لن يعقبه فجر، تشعُر أنَّكَ ملكتها، ولكن في الحقيقة هي التي أَسَرَتك، صعبةُ المنال وسهلٌ مُمتنِع في آنٍ واحد... محسودٌ مَن يفهمها إن قدَّرَ الله له ذلك.

لماذا هي؟!

قريبة... تَشعُر مِن الوهلةِ الأولى معها وكأنكَ تعرفها منذُ ألفِ عام، عفوية لا يشبَعُ قلبُكَ من الحديثِ معها، مزاجية لا يستقرُّ لها حال، وعلى أيِّ حالٍ ليس بمقدرتِكَ فِعلُ شيءٍ إلا الوقوعَ فيها طوعًا ورغمًا، كريمة إنْ سُئِلَت لا تمنع، وإنْ قُصِدَت لا ترُد، وإن طُلِبَت لا تتوانَى، لها روحٌ إنْ تخلَّلت قسوةَ العالمِ لأذابتها ولأبدلتها رِقةً ولينًا، اسمُها يُغنِي، وسيرتُها تكفي، وملامِحُها تشفي، وبراءتُها الخام هي السرُّ الكامِنُ في كَونِها أنثى، على يَدَيْها فقط قد صَرَفَ العالمُ نظرَهُ عن كُلِّ النساءِ بعدها.





أمَّا بعد

- يقينًا بالله...

سيُنبت لكِ من بين صخور وجعكِ الجافة العاصية زهورًا تُشبهك، وسيرويها الحُب بقطرات الفرح، والذي تولَّى إخراجها سيتولَّى سُقياها بماءٍ طهورٍ كالذي سالَ من عينيكِ مرارًا وتكرارًا...

يقينًا بالله... سيجعل لكِ من ضيقكِ مخرجًا، ومن همكِ فرجًا، وسيبني حول قلبك الهشّ سورًا متينًا، يصعُب على الوجع اختراقه، ويستحيل لليأس أن يتسللَ إليه بسهولة...

سيُشيِّد لكِ مدينة حُب؛ سُكانها المودة والرحمة والسِتر المُحاط بجاذبية الصدق لمَن يريد بكِ خيرًا فقط، سيعوضكِ عمَّا فقدتِ، وسيُغنيكِ عما حُرِمتِ وسيجبِركِ فيما كُسرتِ، ولن يدعَكِ تتخبطينَ في حَنادس الطُرقات المظلمة...

كيف وقلبُكِ الذي لطالما أنار ظُلمةَ العابرين الذين وهموكِ ورحلوا؟!

يقينًا بالله... سيُبدل حالكِ إلى الأفضل، فحين تُغلَق ويشتدُ ظلامُها فنورُ اللهِ آتٍ، وأنا وأنتِ، وكلُّنا، وكل ما بنا مِن ظُلمات له نور الله؛ «ومَن لم يجعل الله له نورًا؛ فما له من نور»...

أليس نورُ الله كافيكِ...؟!

الحُب...

الذي يسكُن ضلوعك ولم تُعلني عنه حتى الآن؛ يومًا ما سيكون ظلك، وسندك، ومُعجزتك، وإنجازك

العظيم، الذي تحتفي به، سيكون أحد أبنائك البارِّين بكِ، فاعتنى به جيدًا، وكوني جديرة بحمله، واختاري له أبًا صالحًا، يُبدلك به الله زكاةً، وأقرب رُحمًا.

- إليكِ أنتِ...

نعم أنتِ دونَ غيرك، وبرغم أني لا أعرفكِ وأنتِ أيضًا لا تعرفينني؛ فلقلبِكِ الطيب منِّي السلام، ولروحكِ البريئة تكتبُ روحي؛ أكتبُ لبياض قلبك وعفويتك المُفرطة، أكتبُ للحُزنِ القابع بداخلك منذُ أمدٍ بعيد، أكتبُ لعينيكِ الجميلتين المُمتلئتينِ همًّا ووجعًا، أكتبُ لصمتك وشتاتِ روحك وثِقلِ الأيامِ في قلبك، أكتبُ لكِ كَيَدٍ تربتُ على كتفك، وصوتٍ مُعتَّقٍ ببالونات الشجن، وبوحٍ يتخلله همس كجبرٍ لخاطرك، فكوني على استعدادٍ أن تكوني بخير، وكوني بالقُرب مِن خواطري، فمن أجلكِ كتبتُها وبُحتُ بها، ف بينَ الحُبِّ والحُزنِ «شيءٌ منكِ هُنا، أو ربَّما كُلُّك...!»

يا شبيهة روحي...

لا تتلهفي رسائل أحدهم؛ تأتِكِ بالحُب عن ظهر غيب، فالذي يحبك لا يُدخِلك في البحث عن الغيبات، بل يجعلك موقنةً آمنة مطمئنة، يكون صادر رسائله أنتِ، ووارد رسائله أنتِ، والمُرسِل أنتِ، والمُرسَل إليه أنتِ...

الذي يحبك لا يُخبِّئ لك حُبًّا مضمونه رسائل، ولا يبخل عليكِ بإرسالها، فهل فهمتِ؟!

- أعيريني قلبَكِ...

للحظاتٍ فقط... اقرئي به لا بعينيكِ الجميلتين، قلبكِ الطيب، هذا الذي يُعطي بلا مُقابل، ويبذِل حتى يذبل، يُضحي قدر استطاعته، ويتمسَّك عدد نبضاته التي خُذلت، ويحمل الحُب والخير بين طياته للجميع، ويبقِي على العِشرة، ويحفظ المعروف، تلك خصالُ قلبكِ التي تبدو لنا، فكيف بما الله به عليم؟!

وكأنَّ صفات الطيبات الطاهرات صُبَّت في تكوينك صبًّا؛ حالًا وقولًا وفعلًا، هذا ما يفهمه من يشبِهونكِ إن وُجدوا ولكنك في أعينِ المُغيبين عن مقامك العالي ومنزلتك الرفيعة تبدين غريبةً؛ وذاك أمرٌ طبيعي للغاية؛ لأنكَ فوقهم بدرجاتٍ يصعُب عليهم أو يستحيل لهم الوصول إليها...

مُنفردة ومُميَّزة وتاج رأسهم جميعًا، كونهم يرونكِ بأعين العميان، فهذا ذنبهم، وهذا في أعين الأشباه لا يُعاتب ولا يُلام...

قلبُكِ الطاهر النقي طغى على ملامحك، فكساها بالطيبة والبراءة، وكونكِ طيبة ليسَ عيبًا، فاللهُ طيب لا يقبلُ إلاَّ طيبًا...

دومًا تذكري هذا يا طيبة.

- أشعرُ بكِ...

أراكِ مِن مكاني هُنا، تفصلنا آلافُ الأوجاع والمتاهات، وقليلٌ من المسافات الموحِشة، أراكِ

قلقةً حائرةً مُضطربةَ الأركان، أراكِ وحدكِ تمامًا رغمَ كثرة مَن هم حولك؛ لا أحدَ يعتني بكِ، لا أحدَ يهتم بشأنك، لا أحد يشغله ما أنتِ فيه؛ العالم في وادٍ وأنتِ في آخر، أشعرُ بكِ جيدًا فأنا شبيهكِ، لكن لا بأس، فبالله دعي الحزنَ قليلًا ليسَ لأجلِ أحد بل لأجلكِ أنتِ...

أَنَسَيْتِ أنكِ جميلةٌ ولا يليقُ بكِ غيرَ الفرح؟!

أنسيتِ أنَّ أمركِ كله بيدِ خالقك؟!

أنسيتِ أن الخير كله بيده، وأنه قادرٌ كريم؟!

توقفي بعض الوقت عن كونكِ بائسة أو تعيسة؛ فأنتِ وربِّ الكعبةِ جميلة ورائعة، وذاك العبث الساكن بداخلكِ لا يستحق منكِ كل هذا أبدًا...

أعلمُ أنكِ مُتعبة لأبعد حد، ومُنهكة وهشَّة للغاية؛ ولكن دعي حروفي الآن وانظري للسماء... أليس الذي فيها بكافيكِ؟! أليس الذي فيها عالمٌ بكِ؟!

أليس بقادرٍ على أن يُبدِّلَ حالكِ بكُن فيكون؟!

حاشاهُ... ربٌّ كريم قادر...

حُبًّا في الله... تبسَّمي يا بسمةً طيبةً في زوايا الأيام المريرة... تبسَّمي... فتاللهِ لشفاهُكِ لائقٌ بها الفرح والابتسام.

سلامٌ عليكِ...

بما صبرتِ فوق قدرتِكِ، وبما تحملتِ فوق طاقتك، وبما خُذلتِ قدر طيبتك، وبما تألمتِ قدر عفويتك، وبما بكيتِ قدر لياليكِ المُوحِشة، وأيامكِ الثِقال، وعقارب ساعتِك التي لا تتزحزح...

سلامٌ عليكِ بما نُكِرتِ قدر معروفِك، وبما طُعنتِ قدر إيمانك وتسليمك، وبما واجهتِ من خيباتٍ وتعثُّراتٍ وآنينٍ احتلَّ ضلوعكِ...

سلامٌ عليك حيث تُركتِ، وحيثُ فُقدتِ، وحيث شرًّا بخيرٍ قابلتِ...

سلامٌ عليكِ حتى تسعدي، وتنعمي، وتُجَازي بالإحسانِ إحسانًا، وتسمعي: «سلامٌ عليكُم بما صبرتُم فنِعمَ عُقبَى الدَّار».

الصُّلح خير...

وأولى الناس بخيرك هي أنتِ، فتصالحي مع نفسك، واصنعي من العجز بالونات حُب مصنوعة من ابتسامة ثغرك، وانشري في جرائد العالم وصُحفِها خبر وفاة أحزانك وعُزلتك واكتئابك، قولي: ماتوا في حادث سير على طريق الصبر، محور الرضا، ولا عزاء للحاقدين والحاقدات، الحاسدين والحاسدات...

تصالحي؛ تَصلَحي وتُصلِحي، وعانقي أحلامك، ما دامت أنفاسك لا تُشترى ولا تُباع، وامنحي الهزائم والخيبات قُبلة وداع، واجعلي العِصمة بيدك لكُل أمانيكِ، وأيٌّ منها تعصيكِ أوتتمرد عليكِ؛ تُطلَّق ثلاثًا... طلاقًا لا عدولَ عنه، ولا رجعةَ فيه.

أنتِ جميلة.

لا... بل أنتِ جميلةٌ جدًّا؛ جميلةٌ رغم ما في حوزتكِ من ندوبٍ وخدوشٍ وتصادماتٍ مع الأيام، جميلةٌ للحدِّ الذي لا حدَّ له، جميلةٌ ولا شبيهَ لكِ، والذين يرون أنفسهم أجملَ منكِ ليسوا كذلك؛ فالفرق بينكِ وبينهم كبيرٌ شاسعٌ، فرق المشرقِ من المغرب، فأين الثَّرى من الثُّريَّا؟!

وأين القمر من ضوءِ الشموع؟!

وأين الأرض من كواكبِ الجوزاء؟!

فأنتِ أنتِ، وهُم هُم؛ هُم يرونكِ بعيونِ غيرةٍ وحسدٍ؛ وإن ادَّعوا أنهم أجمل؛ فقد كذبوا فيما ادَّعوا...

فبينما أنتِ جميلةٌ جُملةً وتفصيلًا، وأمركِ شاغلهم؛ فهُناك أيضًا مَن يراكِ نجمته المفضلة، وكوكبه الدُّريّ؛ الذي ليس فيه عيبٌ أو خلل...

هُناك من يؤمن بكِ وإن كفر الجميع...

هُناك من يُصاحبكِ في دعواته سرًّا...

هُناك من يقع فيكِ ولم تُسعفه جَرأته على الاعتراف لكِ...

أنتِ جميلة ولا خلاف في ذلك، أنتِ واللهِ جميلةٌ رغمًا عن أنوفِ العالمين.

- خُلقتِ لِتسعدي...

أيًّا كان الذي مررتِ به، وأيًّا كان الذي واجهه قلبكِ البريء في محراب الدُنيا من سخافات الحياة، ومتاعبها، ومُعاناتها، وعنائها، وكِفة ميزانها غير العادلة مع مَن لا يشبهونكِ إطلاقًا؛ فلا تحزني، أنتِ لم تُخلقي لذلك؛ ولكنها فترات تعتري كلًّا منا حسب معركته الخاصة التي لا يعلم بها أحدٌ غير الله، تلك المعركة التي يُجاهد فيها بمُفرده، ويقاتل فيها وحده من أجل ألا يُهزم، أو يسقُط، أو يلحق بالقاع، ما خُلقتِ للتعبِ وأنتِ في كفيكِ راحةُ المُتعبين؛ فمثلُكِ إن حَزِنَت تُشفق عليها القلوب، وتدمع من أجلها العيون، وتُجلد من أجلها الظهور، وتُفدى لها الأرواح...

كيف لفرحةٍ خلقها الله على هيئة إنسانة ألا تفرح وتسعد وتتراقص حُبًّا وعشقًا ودفئًا وحنانًا؟!

فوربِّ الكعبة ما عرِفت البشرية أمنًا ولا أمانًا إلا بكِ، وما خُلقتِ إلا لِتسعَدي، وتُسعِدي، وملعونٌ كل من تعمَّد انطفاءَك، أو تسبَّب في إيذاء روحك، أو تعمَّق في جُرحكِ، أو أهمل سُقيا وردِك بدمع عينه، فضلًا عن دمه، ولا سامحَ الله مَن أفلت يده من يدك وقت حاجة أو فاقة أو طلب، أو أيقنَ أنكِ لستِ على ما يُرام وبخِل عليكِ بوقته حتى تبقي بخير كيفما يُرضيكِ وقدر ما تحتاجين...

خُلقتِ لتسعدي؛ فلا تخالِفي فطرة اللهِ فيكِ...

- سيزورك الربيعُ حتمًا...

فليسَ مِن المنطق أبدًا، أن يتعاقب فيكِ صيفٌ بحرارته القاسية، وشتاء ببرودته القارسة، وخريفٌ بتساقط أوراقه الجافة، ثم ينساكِ الربيع، أو يهُمل زرعكِ وورودكِ...!

ليس من العدل أصلًا، ولكنه سيأتيكِ حتمًا، ومعه قطرات الندى النديَّة، وستكون قِبلَته ومحرابه جذورُك اليابسة، وأوراقُك الظامئة، وثمارك التي لم تنضُج بعد...

سيأتي الربيع كما تحلمين، ومعه مطر غزير يفيضُ على بساتين اليأس داخلك، فيحولها إلى حدائق غنَّاء، من فرحتك ستظنين أنها لن تبيد أبدًا

كوني بخيرٍ دومًا...

ليس مِن أجل أي أحد على وجه هذا الكوكب العابس البائس الذي خَلا من الاعتراف بالحق والإنصاف لكُل ذي حق؛ لكن من أجلكِ أنتِ فقط؛ توقفي عن قلقك الدائم، وخوفك المستمر، واضطراباتك المزعجة، واعلمي أن معرفة قدركِ حق، وحفظ كرامتك حق، وأنوثتك حق، ومشاعرك حق، حتى أظافر قدميك حق؛ فلا تُفرِّطي في حقكِ؛ وإن اعتزلتِ العالم أجمع...

ولا تهبي لمَن لا يعي الفرق بين الحق والباطل حقًّا...

كل ما حدث، وما يحدث، وما سيحدث؛ حق كتبه الله منذ أَنْ قال للقلم: اكتُب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، ومِن بعدها رُفعت الأقلام وجفَّت الصُحف...

فكل ما رأيتِهِ من منظور الشر لم يكُن شرًّا، بل كان خيرًا عظيمًا، وكان لا بُدَّ من وقوعه، وإلا كيف تتعلمين، وتنضجين، وتُفرِّقين بين الطيب والخبيث، وبين المُفسد والصالح، وبين الظل والحرور؟!

كان لا بُدَّ أن تمُر عليكِ رياحٌ عاتية، تميلُ بكِ مرة، وتصفعُكِ مرة، وتطرحكِ أرضًا مرةً أُخرى؛ كي تنجو سفينتكِ إلى بر أمانٍ وسلام، وألا تُخدَشي من الرياح مرةً أخرى...

كان لا بُدَّ من العابرين الفاسدين الكافرين بقدر قلبكِ الطيب، الذي فُتِحَ على مصراعيه مِن أوَّلِ طرقة...

كان لا بُدَّ من طعناتِ الظهر حتى يقوى ويشتد، ويُصنع على عين الحقيقة؛ التي طالما تجاهلتِ إيَّاها بحُسن

نية وتصديق، كان لا بُدَّ من شدائد وأزمات ومِحن؛ كي يزدادَ وعيك وفهمك وتفهُّمك لتقلُبات الأشخاص والأشياء والأيام، إذ كيف لكِ إن لم تُداعبْكِ الحياة بقسوتها وفُقدان الشغف بمرارتها لتتذوقي في نهاية كُل تجربة ومرحلة شهدها وحلاوتها؟!

كيف لكِ أن تنعمي بعسل مُصفًّى وأنتِ لم تُلدَغي من حرمان الأحبة، وغدر الأصدقاء، وتقلُّب الوجوه والقلوب، وتغيُّر المكانات والمقامات؟!

يا كُلَّ الخير أنتِ... كُل ما حدث خير، ولن يحدث إلا الخير ما دُمتِ تعلمتِ، وفهمتِ، ونضجتِ بما يكفيكِ لتوخِّي الحذر؛ فليقع ما يقع، أنتِ الآن تُشاهدين، وتستمتعين فقط بما يدور حولكِ وأنتِ على دراية وعلمٍ به، أنتِ الآن تُشاهدينَ النار كيف تسري في الهشيم، ولكن مع النُضج الكافي لنجاتك دونَ أدنى أذى، أليس النُضج يكفيك؟!

تنهَّدي...

أخرجي الآن زفير وجعكِ دُفعةً واحدة، واستنشقي برئة الأمل التي لم تُستعمل بعد...

أتعلمين؟!

لقد خلق الله الناس وما أراد أن يُعذبهم أبدًا رغم عصيانهم له وقُدرته عليهم إلا أنه رحيمٌ ودود، فتنهَّدي يقينًا برحمة الله بكِ، وظُنِّي به خيرًا؛ فخيرًا إن فعلتِ...

يا كُل الخير أنتِ، يا أجمل مَن خلق ربكِ وأبدع؛ لا تقنطي، ولا تيأسي؛ فالله يشملُكِ دومًا برعايته وجبره؛ ذاك الإله الذي لا يشغله أحدٌ عن أحدٍ، حتى إنه لا ينسى الكافرين، يُمهلهم، ويرزقهم، ويُعطيهم ليلَ نهار؛ أينساكِ أنتِ، وأنتِ أمَتهُ التي في ضلوعِكِ يسكنُ الإيمانُ به، والتوكل عليه، وتفويض أمركِ إليه؟!

يرى الصبرَ في أعماق كهوفك المُظلمة يشُن غاراته، ويرى ندبات الألم والقهر والوجع تعلن عصيانها

عليكِ، رغم صبرك وتصبُّرك به، كما يرى فيكِ الخير حول كعبة روحك المُنهكة يطوفُ ويسعى، بعد كُل هذا أتظنين به غير الخير؟!

أو أنه مُهملكِ، أو تاركِكِ، أو ناسيكِ؟!

تنهَّدي، وقولي: حاشاهُ الكريم حاشاهُ.

ليست...

المُشكلة أبدًا في مواجهتكِ الحُزنَ بمُفردكِ، أو أنكِ في الضغوطات المميتة بمُفردكِ، أو أن تنهار أعصابكِ بمُفردكِ، أو أن تصحي، وتغفي في أوجاعكِ بمُفردكِ، المُشكلة لا تكمُن هنا أبدًا، فكُلُّ ذلك يقسمُ ظهركِ وينهشُ في روحكِ، ويستبيح أيامَ عُمركِ، ولا جديدَ يُذكر؛ المُشكلة فقط أنَّكَ ما زلتِ صامدةً، تقاومين، وتُقاتِلين مِن أجل ألا يراكِ أحدهُم ضعيفةً، فيُطلق عليكِ رصاص الشماتة...

ما زلتِ تستقوين، وتُعافِرين، تسقُطين في اليومِ والليلةِ ألفَ مرة، وما زالت قدماكِ مُشفقةً عليكِ...

إنَّ رأسَ المُشكلةِ وعمودَ قوامها أنّكِ كتومةٌ تخشين الكلام، صامتةٌ لا تهوينَ العتاب، وحيدةٌ رغمَ كثرةَ مَن هُم حولكِ، كُل ذلكَ نتاجُ أنَّه مهما شرحتِ، أو سردتِ، أو حكيتِ، أو بكيتِ؛ لن يشعُر بكِ أحدٌ قطُّ، فلا يشعُر بالوجعِ غيرُ صاحبه، وليس مَن ذاقَ كمَن عرِف.

الحياة ليست وردية...

كلٌ منا يسعى جاهدًا في البحث عن سعادته بطريقةٍ أو أخرى، فمنا مَن يوفَّق، ومنا من يتعثر، ويكمِل حتى يصل، ومنا مَن يخيبُ ظنه، ويرجع بعد سعيٍ وأخذٍ بكافة الأسباب بخُفَّيْ حُنين...

وبرغم أن الجميع يُقاتِل مِن أجل أهدافه وأحلامه التي يظُن أنَّ سعادته تكمن فيها، فإن هُناك شيئًا مهمًّا

قد يغيب عن الكثيرين، وهو أن الأسباب ونتائجها ومُعطياتها بيد الله وحده، فسُبحانه يُعطي بحكمة، ويمنع بحكمة، فليس شرطًا بعد أن قطعتِ شوطًا كبيرًا نحو هدفٍ ما، وسلكتِ كُل السُبل إليه أن تحصلي عليه، أو يكون لكِ نصيبٌ فيه...

فإياكِ يا بُنيَّتي والاعتماد على الأسباب وحدها، فربُّ الأسباب يعلم ويهب بقدر ما فيه من الخير الذي يراه لكِ...

ثم إياكِ أن تسوِّل لكِ نفسكِ أن تقتربي من سور اليأس العظيم، ذاك السور الذي لا يسكُن بجواره إلا أصحاب العقول الفارغة، والأهداف الواهية، والقلوب الهشَّة الخالية من لذة الإيمان بالله والأُنس به والتوكل عليه...

ثم إياكِ أيضًا مِن المُثبطين، الذين يعزُّ عليهم أن يروكِ ناجحة مُتقدمةً عنهم...

اسعي، واجتهدي، وقاتلي مِن أجل أحلامك، واصبري عليها وصابري، مُعلقةً قلبكِ بالله لا بالأسباب،

وتيقني أن الله خزائنه ملأى، ويداهُ مبسوطتان ينفقُ كيف يشاء...

الحياة ليست وردية، ولكن ما يهوِّن صعابها، ويُيسر عُسرها، ويُزيل تعبها؛ إيمانك بالله أولًا، وعلمكِ ثانيًا أن الأشياء تأتي في مواعيدها المحددة دون تأخير أو تبرير أو حُسبان...

وكفى بالحياةِ تجمُّلًا، ما دُمتِ أنتِ وردها.

لا تبتَئسي...

قد لا أعلمُ ما يجولُ بخاطركِ الآن، أو لا أعلمُ أي شيء يشغلُكِ، بل أكادُ أجزمُ أنكِ أيضًا قد تكونين لا تعلمين...

أنتِ تائهة فحسب، مُشتتة... مُذبذَبة... حائرة، لا تُملكين مهارة البوح، أو إجادة الشرح...

أعلمُ أنكِ كتومةٌ لدرجة تُرعبُ مَن يخالط صمتك؛ لكن لا بأس أيضًا فالله يعلم وجابركِ وراضيكِ فالقلبُ

الطيب هذا محلُ نظره في عليائه، مِن فوق سبع سماوات يرى ما يضجُّ به، ويسمع أنينهُ وشكواه، يعلم ضعفه وكسره واستكانته، كما يعلم الخير الذي يملأ أركانه، فلا تنزعجي من كونكِ لا تستطيعين التعبير عمَّا بداخلك، أو أنكِ لا تقدرين على الإفصاح عن فوضاكِ العارمة...

أأنتِ أَمْ يوسف الذي «فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم»؟!

لا تبتئسي ولا تحزني، فلَيَقضِيَنَّ الله أمركِ، ويتولاه، ويتكفل بالعجز داخلك، لن يُهملكِ، ولن يتركِكِ، ولن يخذلكِ، وسيرسل لكِ مَن يعي أنكِ أطهرَ مَن خلق، وأطيبَ مَن كتم، وأجمل من خَجِل؛ سيرسل لكِ من يتقبَّلكِ، ويقبلُ بكِ بما أنتِ عليه، فابقي كما أنتِ، زهرةً لا يقتربُ منها إلا الذي يهوى جَنْي الأشواكِ أولًا...

ابتسمي...

حتى الحزن...!

أعلمُ أنَّ الحُزن المُقيم في جُدران روحكِ أوشكَ على الاحتلال، وأنَّ الوجع المُشين الساكن في عينيكِ أصبح لا يُبالي، وأنَّ الشتات القاتِل بات من ذهاب عقلكِ بقريبٍ، وغير مُجدٍ معه أدوية أو أي عقاقير للنسيان؛ أعلم أنَّها أشياء ليس برغبتك مكوثها طويلًا معك، أو بقاؤها فيكِ رغم كُرهكِ لها، ولم تكُن باختيارك يومًا ما، فمَن يرضى لنفسه ما لا يُطيق؟! أعلمُ أيضًا أنَّ ما تُخفيهِ لهو أشدُّ ألمًا ووجعًا، وأنكِ غير ماهرة في التجاوز، وتخطي العقبات بسهولة...

أنتِ تُفكرين في الأشخاص والأحداث والأشياء؛ ما يستحق منها وما لا يستحق كذلك، تُفكرين فيما حدث؛ كيف حدث؟! ولماذا حدث؟!

وتُفكرين أيضًا فيما سيحدُث؛ كيف سيحدُث إن حدث؟!

ليل نهار عقلكِ لا يكُف عن التفكير...

أعلمُ جيدًا أنكِ عفوية وذات كبرياءٍ طاغٍ وعظيم...

لا تحبين أبدًا أن يَنظُر إليكِ أحدهُم بشفقة، أو يجبركِ بكلمةٍ كاذبة...

أنتِ فقط تأملينَ فيمن يِشبهكِ كمًا وكيفًا وحديثًا وصمتًا وفرحًا ووجعًا، تطمعين فيمن يُقاسمكِ أشياءك العظيمة في نظره؛ والتافهة في نظركِ أنتِ...

تُريدينَ مَن يفهمكِ قبل أن يعترف لكِ بحبه ومكانتكِ عنده، لمَن يتفهَّم أمرك دون شرحٍ أو جدال أو عتاب؛ لا يُسمن ولا يُغني من حُب...

أعلمُ أنكِ عزيزةُ النفس، وجميلة الروح والطبع، ورقيقة الحس، ومُرهفة الشعور؛ وهذا سرُّ انفرادك في سباق الجميلات...

كما أعلمُ أن الحُزن الذي يقتحمُ فؤادَكِ لأسباب، أو بدونها على حينِ غفلةٍ منكِ، أو دونَ سابق إنذارٍ منه؛ لا يحق له؛ كونكِ لا تستحقين إلا الفرح، إلا أنه بعض

الوقتِ مُحقٌّ في احتلالكِ، رغم ثورتك عليه، وكُرهك له، ونُفوركِ منه، إلا أنني عليه مُشفقٌ بعضَ الشيء، إذ كيف للحُزنِ أن يقع في الجميلاتِ مثلكِ ولا يِقيم؟!

لا تلتفتي...

أكملي سيركِ، وَواصلي تقدُّمك، وَودِّعي كُل ما جرى وحدث دون ندم أو تحسُّر أو التفات، بل دعي أنف الماضي بما حوى في التراب، وتخطيه بلا أدنى اهتمام؛ فلا يستحق عناءك أحد، ولا يستحق حُزنك أحد...

لا تلتفتي، فكل الذين التفتوا تأخروا وظلوا في أماكنهم يتحسرون، امضي حيثُ غَدٍ، وغَدٍ بكِ ولكِ أجمل...

غدًا تُشرقين كشمسٍ لا تأبى الغروب، مُخالفةً نواميس الكون والحُزن، غدًا تُحِبِّين كما أردتِ، وتُحَبِّين كما أردتِ، وسيُرسل لكِ الملِك مَن يُحبكِ لذاتِك...

غدًا تذهبين لشراء فساتين الفرح، وعطور الهنا التي كثيرًا ما حلُمتِ بها...

غدًا تقفين مُجددًا أمام مرآتكِ، وتُزيحين من عليها غُبار الوجع، وتفتحين نوافذ الطمأنينة، كالملكات ستبدين جميلة ورائعة، فخورة بنفسكِ كلما تذكرتِ كيف كُنتِ، وإلى أين وصلتِ...

غدًا... تبتسمُ لكِ الحياة، ويحتفي بطفولتك الإنسُ والجن؛ فرحينَ بما أوتوا من حَدثٍ عظيمٍ؛ هو أنتِ...

غدًا لكِ... عمَّا قريبٍ سيرقُص...

«وإنَّ غدًا لناظرهِ لقريب».

هل مرَّت بكِ أيامٌ...

كانت تصرُخ روحُك وتنتفِضُ عروقُكِ، وتبكي عيناكِ دونَ دموع؟!

هل أتَت عليكِ ليالٍ تتصَارعُ فيها أفكارُكِ كلّها بداخلِكِ، ويرسو في أعماقِ وجدانِكِ حرمانٌ يعلوهُ صمتٌ رهيب؟!

تَتساءلين، ولا تعرفين هل أنتِ على خيرٍ، أم بِشَرٍّ بُليتِ؟! تتناثر عواطفكِ، وَتستغيثُ مشاعرك، تجهشُ بالبكاءِ سِرًّا، دون جدوى...

هل ما زلتِ تبحثين عن السبب، ولا تعلمين لِمَ يحدثُ كُل هذا معَكِ؟!

قد تكونين في ذروةِ سعادةٍ في وقتٍ ما، لكنَّكِ خائفةٌ من ماذا؟!

لا تعلمين...!

قد لا ينقُصكِ شيءٌ ممَّا لدى الآخرينَ بكثير، وتسألين ما هذا الشعور اللا مُتناهي بداخلكِ؟!

ولكن أيضًا لا تعلمين...

قد تكونين في طِباعكِ وسجيتكِ مُرهفَة الحسِّ، رقيقَة المشاعر، طيِّبَة القلبِ، وكل هذا استُغِلَّ في يومٍ ما، في وقتٍ ما، في زمانٍ ما...

أعطيتِ بلا مُقابل، دون خوف، أصغيتِ لمَن لا مأوى له دونكِ آنذاك، طيِّبتِ ودوايتِ وآويتِ كُل العابرينَ وقتها دونَ حساب، تزايدتِ في مشاعركِ وأحاسيسكِ لهُم دون مُقابل، دونَ أي كلمةِ شُكرٍ تُذكر!

كُل أحدٍ عرفكِ أستغلَّ المشاعر النبيلة بداخلكِ؛ بل إن شئتِ فقُولي: سذاجتكِ، والتي لا تملكين التحكُم بها تجاهَ مَن تُحبِّين، ولأنهم أيقنوا أنكِ لا تستطيعين ارتداء قناعَ الزيفِ والكذب مثلهُم؛ فتمادَوا في غَيِّهم وظلمهم وطُغيانهم تجاهكِ...

ولا يزالُ السؤالُ قائمًا، يصولُ ويجولُ في أحشائكَ:

لماذا يحدثُ كل هذا؟!

أما آن الأوانُ أن يُلقيَ الله على عينيَّ قميصًا وفيًّا؛ فأرتدَّ بصيرةً؟!

أما آن الأوانُ أن تمتدَّ نحوي يدٌ صادقةٌ، ولو شَلَّاء؛ فأجعلَ منها سندًا وعونًا؟!

والجواب: لا يا هذه... لنْ يكُون... ويحكِ... لا تنتظري!!

لماذا أتَقتلُ فيَّ الأمل؟!

لا واللَّهِ... حاشاني، ولكنَّ المُخلصينَ أمثالُك نادرون جدًّا، وقلَّما يتم العثورُ عليهم؛ لذا يجب أن تُحبي نفسكِ، والخيرَ الذي زرعهُ الله فيكِ بيده...

أَحِبِّي الصدقَ النابعَ من فِطرتكِ السّوية، أَحِبِّي كُل شيءٍ جميلٍ فيكِ، وامشي بين الورى شامخَةَ الرأسِ، واثقةَ الخُطى؛ ليس غرورًا أو استعلاءً، فكل ما حدثَ لكِ كونكِ طيِّبةً، فقط أنتِ طيبةٌ؛ واللَّهُ لا يقبلُ إلا طيِّبًا؛ لعلَّك الآن عَرفتِ...!!

دُمتِ طيبةً بخيرٍ...

وحدهُن...

اللواتي عبرنَ الوجع؛ يعرفنَ كيف يتحكمنَ في مشاعرهِن؛ يخفين منها ما أردن متى أردن، ويُبدين منها ما أردن متى أردن، تراهن يضحكن وهن في أمَسِّ الحاجة للبكاء، ويبكين وهنَّ في أشد الحاجة لابتسامةٍ عابرة...

وحدهن اللواتي يقدرن على الكتمان، والصمت، والصبر، والتحمل، يخشين شفقةَ أحد، أو استعطاف أحد، فالموت عندهن أيسر وأهون من الشفقة والعطف.

أضيئي...

أضيئي مِن جديد، لا تنطفئي أبدًا. شيءٌ فيكِ دونَ غيركِ يُقسمُ على أنَّ العتمةَ لا تليقُ بكِ، يُقسمُ أنكِ كوكبٌ دُرِّيٌ يستحق سماءً صافيةً، لا يعلوها غُبار، ولا

يتخللُها شياطين تسترقُ الضوء منِك، سماء لا يعتريها سحابٌ أسود، لا فيهِ خيرَ ولا مطر، بل سحابٌ مُحمَّلٌ بالرِّي؛ يُشبه روحكِ البريئة الطاهرة، مُزيَّنٌ بهالاتٍ تُضيء كُل ذي ظلام، ويُمطر لكُل أرض بورٍ تشققت عطشًا، وأصوات رعدٍ وبرقٍ لمَن تُحدثه نفسه أو تسوَّل له أن تنطفئي...

أضيئي، وأنيري، والمعي، تلألئي كما نجمةٍ أخيرة، مجرَّات الدنيا كلها في حاجةٍ إليها...

أضيئي كما لو أنكِ لم تنطفئي من قبل...

أضيئي كما لو أنكِ لن تنطفئي بعد...

فقط أضيئي...

افتخري...

بأنكِ «بنتٌ وفتاةٌ وامرأةٌ» وارفعي هامتك وقدِّسي روحِك، فبيتٌ خالٍ مِنَ البناتِ فاقدٌ للأُلفةِ والسكن...

تاللهِ محرومٌ كُل مَن ليسَ بينَ جُدران بيتهِ أنثى؛ صغيرة كانت أو كبيرة، يُقبِّلُ عينيها، ويلتمسُ الرحمةَ بينَ كفيها، وينزِعُ رداءَ التعبِ على أعتابِ ضحكتها...

أنا لا أعلمُ مِن ينابيعَ الخير الذي لا ينقطعُ أبدًا مثلهُن...

هُنَّ المؤنساتُ حقًّا، والصابراتُ صدقًا، والكريماتُ قولًا وفعلًا، والطيباتُ ذِكرًا...

هُنَّ الوصيةُ مِن خيرَ مَن أوصى؛ شقائقُ الرجال، المصوناتُ الغاليات، المُكرَّماتُ مِن اللهِ في عليائهِ بعد أن عمَّمَ، وأخصَّ النساء؛ فهُنَّ الرحمةُ إن ذُكِرنَ، والجواهرُ إن طُلِبنَ، والصَالحاتُ إن قُصِدنَ...

بيتٌ بلا أُنثى... بيتٌ تعيسٌ خاوٍ على عروشه، فمَن امتلكَ منكُن وبهِنَّ رِزقًا، فليتَّقِ ربَّهُ ويَعِ.

أنتِ عظيمة...

عظيمة ظاهرًا وباطنًا، عظيمة شكلًا وموضوعًا، عظيمة في ذروة سنام فرحكِ وسعادتك، عظيمة في قاع حُزنك وألمك واكتئابِك، عظيمة دونَ مُجاملة أو تزايُد...

فَلستِ بحاجة إلى أحدٍ كي يُخبركِ أنكِ عظيمة، فلا تنتظري مدحًا مِن أحد، أو تتلهفي لثناءٍ مِن أحد، وكذلك لا يشغلُكِ كُل مَن غضَّ الطرف عن كونِك عظيمة، فأنتِ كذلك بهم أو دونهم...

كونكِ مصدر الحياة فأنتِ عظيمة، كونكِ منبع للأمنِ والأمان فأنتِ عظيمة، كونكِ عين التضحية والبذل والعطاء بسخاء فأنت عظيمة، كونكِ محور الحُب والدفء والاحتواء والاهتمام فأنتِ عظيمة...

كونكِ لا تردِّين سائلًا، ولا تُخيبين راجيًا، فأنتِ عظيمة...

فافتخري، وتباهي بذاتِك يا مَن فيكِ أنتِ اجتمعت عظمة كُل ذات.

مَن يُعادِلك...؟!

وأنتِ في شرع الله امرأةٌ لكِ الكمالُ رغمًا ولكِ مِن الجمالِ ذِكرٌ، ولكِ مِن الكرامة والرفعةِ منزلةٌ ونصيبٌ موفورٌ؛ إذ لا يستطيعُ عاقلٌ البتَّة أن يجهل قدركِ، أو يتغافل عن شأنكِ، أو يعبث بكينونتك...

كيف لأحدٍ مهما سرد، وشرح، وتغزَّل، ووصفَ، وأبدع، أن يوفِّيَكِ حقكِ وأنتِ مِن الله هبةٌ ونعمةٌ لا تُعدُّ، شُكرها يحتاجُ إلى شُكر...؟!

مَن ذا الذي يُعادلكِ فخرًا وشرفًا، وقد أنزل الله في فصليتكِ مِن النساءِ آياتًا تُتلى إلى قيام الساعة...؟!

مَن يُعادلكِ وأنتِ الموصى بِكِ مِن خير مَن أحبَّ وأوصى: «استوصوا بالنساءِ خيرًا»...؟!

لله درُّكِ وأنتِ لا شيءَ في الوجودِ يُعادلكِ.

أصلُكِ...

أصلُكِ، امرأةٌ سكنت الجنة، وعاشت فيها...

أصلُكِ، كانت زوجات الأنبياء والمرسلين والصالحين...

أصلُكِ، شجرةٌ أصلُها ثابت وفرعُها في السماء...

أصلُكِ... كانت وما زالت وَنسًا في وِحدة، ووطنًا في غِربة، وسندًا في شدَّة، وجبرًا في كسرٍ وذلة، وكثرةً في قِلَّة...

أنتِ وحدكِ... دونًا عن سائر المخلوقات لا غنى عنكِ؛ الحياة لا تستمرُ إلا بكِ، وبكِ تُعاش الحياة، ويُعرف قدرُها...

بكِ تُداوَى العلل، وتبتسم الوجوه العابسة، وتُشفى القلوب المُتعبة، وتستريح الأرواح المُنهكة...

أصلُكِ ثابت، لا يتبدل ولا يتغير، فعَمِّري دُنياكِ أكثرَ وأكثر، وافرحي بها، واملئي أرجاءها عِطرًا كأنفاسِك

الذاكية، وعبقًا يفوحُ في أُفق الذين لا يعرفون أصلكِ جيدًا، الذين إن مالت كِفَّتهُم عدلًا؛ رجحِت كِفتكِ أنتِ منًّا وفضلًا، ولا تنسي أنَّ لكِ مع الجنةِ موعدًا...

فلا تُخلفيه، أو تنشغلي عنه.

مِن الطبيعي جدًّا...

أن ينتابَكِ شعور الضعفِ من حينٍ لآخر؛ لأن مخزون الصبر داخلكِ لا يتحمل سِعة المواقف والأحداث التي لا تقوى على تحملها الجبال الراسياتُ، فكم صبرتِ أنتِ، وكم تحملتِ، وكم خُذلتِ، وكم طُعنتِ، وكم نُكِرتِ، وكم تألمتِ، وكم بكيتِ وحزنتِ، وكم، وكم، وكم... ما الله به عليم؟!

وبرغم ما مرَّ عليكِ ومررتِ عليه، وأصابكِ منه الوهن والضعف والهزيمة النفسية؛ فإن ذلك لم يزدكِ إلا قوةً وثباتًا؛ فلولا الدروس القاسيات، والأشخاص

الخطأ، والقلوب التي هي بالحُب كافرة، والأيادي المؤذية، والأقنعة المُزيفة الكاذبة، ما كُنتِ تعلمتِ ولا فهمتِ ولا وَعيتِ، ولا وصلتِ لمرحلة النُضج واللامُبالاة التي أنتِ عليها الآن...

يا جميلتي... إن شعورك بالضعف لا يُشينك، ولا يُعيبك، ولا يُقلل من شأنكِ، ولا يُنقِصُ من قدرك مثقال حبةٍ من خردل، بل هو رحمة وعطف مِن فترةٍ لأخرى، وبرهان ودليلٌ قاطع على لينِ قلبك، ورقة طباعك، وجمال روحكِ المعكوس في ملامح وجهك الملائكي البريء، فلا تنزعجي لكونكِ تُشبهين قطرات الندى، التي كلما فرحت بكت، أو حزنت بكت؛ بل وإنْ كان الضعف يتخللكِ، ومنه تنزعجي، فأنا والعالم من أجلكِ أنتِ ضُعفاء، وجميعنا من أجل شعوركِ به خادمون.

اعتزليهم...

إن لم تشعُري أنكِ أحبُّ أهل الأرضِ إليهم، إن لم تكوني أغلى من كُل غواليهم، إن لم يقدِّروا وجودكِ بينهم، ويؤلمهُم غيابِك عنهُم...

إن لم تكوني الأعزَّ لديهم من قلوبهم التي يحيون بها، وأعينهم التي يبصرون بها، وأرضِهم التي يعيشون فيها، وسمائهم التي يتطلعون إليها؛ فاعتزليهم...

فليس شرط الاعتزالُ الأذى، فالاعتزال أيضًا في الإهمال والتغافُل والتهميش، وإنكار الذات، والمُقارنة، والتفاخُر بالبدائل، وغضِّ الطرفِ عن الخصالِ والفضائل...

اعتزليهم إن لم تكوني سيدتهم الأولى، واستفتاحَ دعواتهم، وملاذَ أفراحهُم وأتراحهُم...

اعتزليهم حتى يعلموا قدر الذي اعتُزِلَ، ففي اعتزالهُم كرامةٌ وراحة، فهُناك غيرهُم الكثير والكثير ودُّوا لو

يفتدونكِ بأرواحهم، وأعمارهم، وكل ما يملكون مِن غالٍ ونفيس، أولئك الذين يرونكِ بقلوبهم قبل أعينهم.

اعتدلي...

ولا تميلي كُل الميل يا شبيهة الورد...

أستغفرُ الله، بل يا مَن الورد شبيهك...

حُبًّا فيمَن خلقكِ فسواكِ فعدلك، اعتدلي في مشاعرك، فلا تفرِطِي ولا تُفَرِّطي...

لا تتجهي بقلبك ناحيةً واحدة، ولا في اتجاهٍ واحد، ولا تستقبلي في محراب فؤادكِ كُل مَن يدَّعي أنه تائبٌ ممَّا سواكِ، فليس أحدٌ فينا إلا وعالقًا بشيءٍ، أو شخصٍ، أو مكان، وإنْ كان لا بُدَّ من قبولكِ له، فلتعي تمامًا أنَّ ثمةَ أشياء مرفوضٌ تكرارها معكِ، على رأس أمها الإهمال، فالذي أهمل غيركِ سيهملك، ولو

أقسم كيفما أقسم، فذاك الداء العُضال الذي لا شفاءَ منه، ولا رجاءَ فيه، فلا يخدعنَّكِ الكلام المعسول في البدايات، ولا يرِقّ قلبُكِ لترتيب الحروف المغزولة بطلاسم الكذب، ولا تستهوينَّكِ شباك الصياد للوقوع في فخٍ عظيمٍ، النجاة منه أمر مستحيل...

اعتدلي ولا تفتحي باب قلبكِ إلا لمَن يُجِيد طرق باب بيتكِ أولًا، فالذي يُريدك صدقًا إن لم يكُن ماهرًا بطَرق أبواب الحلال، فلا يؤمَن ولا يُستأمن على قلبٍ، أو عِرضٍ، أو سُمعةٍ وشرف...

اعتدلي ولا تسمحي لأحد أن يزرع في بساتينك نُقطة ضعفٍ، يفعل بها ما يشاء...

اعتدلي شعورًا، وحسًّا، وحُبًّا، وعطاءً؛ إذ إنَّ ليس كُل سائلٍ يستحِق الصدقة.

تدلَّلي...

يا كُل الحياة ويا كُل الدُنيا، يا سحابة المطر، وأخضر الشجر، وينابيع الحُبِّ، وطعم العُمر، وشبيهة القمر...

يا استراحة المُتعَبين، والهداية في السفر...

تدلَّلي، وتمايلي، وتراقصي، وتغنِّي، وافرحي، وأحبِّي نفسكِ يا مَن لا غِنى عنكِ، ويا مَن لا بُدَّ منكِ، ولا سعادةَ إلا بكِ؛ فأنتِ السكن، وأنتِ الوطن، وأنتِ في أنشودة الدنيا اللحنُ والكلمات والشجن...

أنتِ الميناء، والبحر، والسفن...

يا عينَ الأمل المقصود، وقلب الخير المنشود...

تدلَّلي دومًا كما يليقُ بزهرة تشرين...

تدلَّلي وإن سألوكِ: عَلامَ...؟!

فأجيبيهم بغرور: «رحمَ الله قمرًا يتدلل؛ عِرفَ قدرَ نفسه».

تجمَّلي...

كما يليقُ ببدرٍ ليلة تمامه، الجميع يتلهف رؤية الكمال والجمال فيه، الجميع ينظرون إليه بشوقٍ وشغف؛ تطلُعًا للراحة، وتمعُّنًا في آيات الله، وبديعِ ما خلق...

تجملي، وتزيني، وارتدي فساتين الفرح المُطرزة بالأمل والرضا...

تجملي، ودعيهم يتحيرون في أمرك...

كوني في أعينهُم كالمُستحيل الذي يخطُر بالبالِ فقط، الجميع يتمنون، ولا يصلُ إليه إلا مَن أراد الله أن يُكافئهُ بعد عناءٍ وتعب...

تجملي وكوني كالسهل المُمتنع، كالأحلام الوردية، كحبات المطر، كليالي باريس، كعناقيد الزُمرد الخام، كشلالات تايلاند...

تجملي قدر معرفتك بجمال الله، فالله جميلٌ يُحب الجمال، والذي أنتِ تنتمينَ إليه...

يا غاليتي...

ما يُرضيكِ يرضينا، فواللهِ لنحن أشدُّ احتياجًا من بعد رضا الله لرضاكِ، فلولاكِ ما اتسعت بنا الأرض بعدما ضاقت بنا ذرعًا، ولا ضحكت تضاريس العالم إلا بابتسامتك حين ترضين، ولا استنارت وجوهنا العابسة وصدورنا الصاخبة المليئة بالضوضاء إلا حين ترضين، ولا تساقطت من فوق أكتافنا الأحمال ولا استرحنا من إنهاكٍ أو تعبٍ إلا برضاكِ...

حين ترضين؛ يحنَّ المغترب لوطنه، وتعود الطيور لأوكارها، وتحتضن الشمس أشعتها، وتتنزل الرحمات على القلوب الموجَعَة...

حين ترضين؛ ترضى الدنيا علينا؛ ومِن ثَمَّ نستطيع أن نتشبث بآمالنا وأحلامنا، ونشتهي، ونتمنى، ونواصل دون مللٍ، أو ضجرٍ، أو خوفٍ، أو استكانة...

رضاكِ يمنحنا السلامَ والسلامة؛ ولذا فإننا مُدانون دومًا لرضاكِ حين نطمع به؛ فما يُرضيكِ حتمًا يُرضينا.

تحمَّلي...

كوني قويةً، فالعالم لا يعترفُ بالضُعفاء؛ وما أوهنكِ بالأمس؛ اليوم وغدًا سيقويكِ...

كوني قويةً، وتحملي قدر المستطاع، وابقي صلبةً مُتزنة شامخة لأطول وقتٍ، وأبعد حدٍّ ممكن في الوقت الذي يراهن فيه الناس على سقوطك وانهيارك...

لا تُعطي لأحدهم الفُرصة أن يُظهر فيكِ شماتته، ولا تسمحي لأحد غير الله أن يرى ضعفكِ، ودموعكِ، وأوجاعكِ؛ فجَلدُ الناس أشدُ ألمًا وإيلامًا...

كوني قوية من أجلك؛ فالذين سقطوا سهوًا في القاع أظهروا ضعفهم وأبدوا حاجتهم؛ وهذا لا يليقُ بكِ...

لا أطالبكِ أن تتحملي فوق طاقتك؛ فالله لا يُكلف نفسًا إلا وسعها، ولكن من أجل حفظ ماء وجهكِ عند الذين فرغت من قلوبهم الرحمة، وخلت من أنفسهُم الرأفة، ونفدت لديهم الشفقة، الذين لا يعرفون أنه

يحقُّ لكِ أن تميلي وتقعي وتسقُطي؛ كونكِ بشرًا؛ لحمًا ودمًا...

ولأن السقوط لا يليقُ بكِ، ولا أرتضي لكِ أن تُزاحمي الضُعفاء في القاع؛ كان لزامًا عليَّ أن أقولَ لكِ: تحمَّلي، وباللهِ تقوِّي، فمَن أسند ضعفه لجوار الله؛ عزَّ على العالمين كسره أبدًا.

لا تستهيني أبدًا بأحلامك...

أو تُقللي مِن شأنها، ولا تؤجلي بعضها إلى الغد، أخبري الله عنها دُفعةً واحدة، وهو يتولَّى الأمر...

مهما عصفت بكِ الدنيا، وبارزتكِ بأوجاعها، وكشرت في وجهكِ بأنيابها؛ لا تخافي، ولا تبتئسي، وامضي حيثُ وُجِدتِ، وأقيمي على الدنيا الحدَّ فرحًا، واستأنفي حلمك، وتمسكي به، عسى الأحلام تروادكِ ليلًا، فيأتي الله بها إليكِ في الصباح مجرورةً جرًّا...

أبشري ما دام الأمل في الله لم ينقطع، ولعل ليلكِ ينقضي، ويؤذَن للصُبح بالطلوع، «أليس الصُبح بقريب؟!».

والذي جعل...

الكمالَ لهُ وحدهَ، نحنُ لا نتطلعُ للكمالِ في أحد، نحنُ نعلمُ أنَّ العيوبَ لا تكمُن إلَّا في بشَرٍ، ونحنُ بشر...

نحنُ فقط نتطلعُ لمنَ يأبى حُزننا، ويستُر عيوبنا، ويُؤَمِّن خوفنا...

نتطلعُ ونأملُ فيمَن يجعلُنا نُقسمُ أنَّ الخيرَ ما زال باقيًا، لمَن يتخطَّى الزحام مِن أجل رسم البسمة على شفاهنا، لمَن يتحملنا في انهياراتنا وعصبيتنا المُفرطة، نتوسَّمُ فيه صلاحًا لخرابٍ حطَّم قلوبنا...

نتطلعُ لمَن يقبلُنا كما نحنُ، ويفتخر بنا، ويبني حول أوجاعنا سورًا مِن الأمل، لا يتسللهُ غُبار ألمٍ أبدًا...

لِمَن يعي جيدًا أنَّنا لا ننفكُّ عن عيوبٍ إن خُفيَت عليه، لم يقتحِم أسرارها، وإن بَدت لهُ سترها وعفى عنها...

لِمَن يعلَم ويفهم جيدًا أنَّا مثله بشَرٌ، وأنَّ الكمال لله، الذي تفرَّدَ بالكمالِ وحدهُ.

الله أكبر...

مِن وجعك، وألمك، وحُزنك، وقلقك...

الله أكبر من تراكمات الخِذلان بداخلك...

الله أكبر من أن يدعكِ وحدكِ في دائرة الحيرة بلا رشادٍ أو هُدًى...

الله أكبر من تركك، ونسيانك، وخذلانك؛ سُبحانه يراكِ، ويسمعكِ، ويعلم خباياكِ، ولا يشغله أحد عنكِ؛ يُرافقكِ أينما كُنتِ، وكيفما كُنتِ، مُطلعٌ بسركِ وعلانيتك جل جلاله يسمع دبيب النملة السوداء

في الليلة الظلماء على الصخرة الصمَّاء أيخفى عليه أمركِ وهو الذي من فوق سمواتٍ سبع كرَّمكِ وأعلى شأنكِ؟!

الله أكبر من أن يراكِ هكذا ولا يلطفُ بكِ، ولا يجبِركِ أو يُراضيك...

أبشري بربٍ رحيم، فلن يهملكِ، ولن يُضيِّع أمانيكِ سُدًى، فكل أمركِ بيده، وما كان بيد الله لا يضيع ولن يخيب أبدًا.

توخي حذركِ...

دائمًا ضعي في حُسبانك أنَّ ما لم تتوقعي حدوثه، سيحدُث، وأنَّ ما يستحيل وقوعه عندكِ، سيقع؛ فلا تأمني لأحد إيمانًا كاملًا، ولا تُعطي أحدًا مفاتيح قلبك بيدك، ولا تُخبري أحدًا بنقاط ضعفك، ولا تبوحي بأسراركِ كلها...

تعاملي بفطرتِك السويَّة، وابقي على طبيعتك؛ ولكن احذري من طعناتٍ تغوص في ظهرك على حين غفلةٍ منكِ؛ مِن قريبٍ، أو غريبٍ، أو صديقٍ، أو حبيبٍ، أو ما هو أحب وأقرب...

توخِّي حذركِ، وتأهبي للحدث، وتأهلي لاستقبال خسائره بعلمٍ ويقين، دون طيبة أو سذاجة أو استحالة، فما أوقع الغُزلان في فخ الصائدين إلا أمانُهم وتوهمهم أنَّ الجميع سيتبادلون الأدوار البريئة شبراً بشبر وذراعًا بذراع، فانتبهي وكوني على حذرٍ شديد، خاصةً من العابرين، والمُهمشين، والمُجرِّبين، وأصحاب الفراغات وسد الخانات بالبدائل، الذين يستغلون المواقف ونقاط الضعف والخيبات النفسية، المُنتهزينَ أنصاف الفُرص لإيقاع الفرائس...

توخي حذرك، ولا تسمحي لأحد أن يجعلكِ كالدُمية في يده، يلعبُ بها، ويحركها كيفما شاء...

توخي حذرك، وكوني عين المُستحيل في أعينِ البُلهاء.

مُتربِّصونَ بكِ...

كُل الأيادي حولكِ وإن ادَّعت العون والمساعدة فلا تنخدعي، ولا يغُرَّنَّكِ بريقُ أطرافها، ولا تتسرعي في مد يدكِ نحوها...

تمهَّلي قليلًا، ورويدًا رويدًا، فليست كُل يدٍ مُدت خيرًا أرادت، فكثيرٌ له يدٌ ظاهرها الرحمة، وباطنُها العذاب...

تلك الأيادي المؤذية، المُستترة خلف ستائر الوهم والزيف والأغراض الشخصية الدنيئة...

أنا لكِ ناصحٌ أمين، ولا ينبغي لي على الإطلاقِ أن أتهم أحدًا بعينه، فالخوض في نوايا الناس، ظُلمٌ بيِّنٌ، وبُهتانٌ؛ عافانا الله منه، وأنتِ أعلمُ بمَن هُم حولكِ منِّي، ولكن يا صغيرتي نوايا البشر أصبحت لا تؤمَن، وحيَلهُم في الشر والأذى لا تُنكَر...

فانتبهي جيدًا، وضعي الحذر نُصبَ عينيكِ، فمَن أثبت لكِ الولاء، وأجاد بروحه دون مقابلٍ أو طلبٍ

أو غرضٍ، فذاكَ نعمة من الله وفضل، وذاك أقل ما تستحقين، وأمَّا من أمرك قلبُكِ بتجنبه، وعبوره، فاسمعي وأطيعي، فلا خلاف على طرده وهجره، وحذف سيرته من سجل أيامكِ للأبد.

إيَّاكِ والعابرين...

الذين فرَّقت الدنيا بينهم وبين حظوظهم، وأصبحوا بلا ونسٍ أو شريك، أولئك الذين إن أقسموا لكِ جهد أيمانهُم أنهم قد برِئُوا من ماضيهم، ونسوا سالفَ عهدهم بأصحاب تجاربهم السابقة، وما عاد يشغلهُم سواكِ والعِوض منكِ، فإياكِ وإياهم، فلو استطاعوا التسلُّل إلى غُرفة قلبكِ المحكمة، والتي فيها ثياب العفة مُطرزة بالفطرة النقية؛ لَدنَّسوها، ولَجعلوا عاليها سافلها، ونثروا فوق صفونها التراب، فإياكِ وإياهُم...

ولا ترضي أن تكوني بديلًا أو عِوضًا، فأنتِ تستحقين من يشبهك فحسب...

تستحقين مَن يرسم لأجلكِ لوحةً فنية طاهرة، لا يشوبها ماضٍ عفِن، أو ذاكرة ليس لكِ فيها مكان يليقُ بسعة مكانتك، أو أشياء، ومقارنات ما زالت عالقةً بروحه ووجدان...

تستحقين أن تكون أول خطوة يخطوها ناحية بابٍ يطرقه، أن تكون لكِ...

أغلقي جميع نوافذكِ في وجوه العابرين، وحصِّني روحك وقلبك، ودعي نافذةً واحدةً فقط تنظُرين منها إلى السماء، تُناجي فيها ربًّا مُجيبًا: أيا رب... يا وليَّ الصالحين، هَب لي برحمتك منهُم.





ابقِي كما أنتِ...

لا تتغيَّري مِن أجلِ أحدٍ أبدًا، فمَن يريدكِ سيتقبَّلكِ كما أنتِ، يرى بقلبه ما قد لا يعجبه قبل أن يرى ما يجذبه إليكِ؛ فتلمحين في عَينيهِ الرضا بعيوبكِ قبل مميزاتك، وإنْ لم يكن كذلك فلا تقبليه، فمَن يحب لا يختار مَن يناسب هواهُ أو مزاجه أو شهوته، بل يحب محبوبه بكل ما فيه، وعلى هذا الأساس منَ رأى خارجك قبل داخلك فهو كاذبٌ لم يحبك، سينتقدُكِ باستمرارٍ ويطلب منكِ أن تتغيَّري كي تكوني على مقاسهِ وتماثلي قالبه، ومهما فعلتِ من أجلِه، ومهما قدمتِ له مِن تنازلات، فلن يرضى ولن يقتنع، فلتبقي كما أنتِ لِمَن أرادكِ كما أنتِ. لا تتغيَّري...

الأصدقاء...

عُملةٌ نادرة، لكن كوني حذرةً، فلا ينبغي أن تبوحي بكل أسرارِكِ لصديقاتكِ أو لإحداهن، وخاصةً في مواجعكِ، ليس لقلةِ ثقةٍ، فهناك مَن يُؤتَمَنَّ، ولكن لأن النفوس تتقلب وتتبدل، ولعلَّ مَن تأمنيها اليوم تَبُح بسرِّكِ غدًا، فاحذري واحتفظي بأسرارِكِ داخل جُعبتكِ، ولا تبوحي بها لأحدٍ أبدًا، فالأيامُ قاسية وأقسى ما فيها أن تِصبح حبيبة الأمس ألدَّ أعداء اليوم، فالحذر الحذر.

أكبر خطأ...

يمكن أن ترتكبيه في حق نفسكِ؛ أنْ تعطي أحدًا أكثر من فرصة كي يتغيَّرَ ليناسبكِ، دعينا نتفق أنه لا أحد يتغير من أجل أحدٍ بين يوم وليلة، ولكن هناك مَن يُحب فيخلص ويصبر ويجاهد تدريجيًّا من أجل

التغيير، لأنه لن يجد راحته إلا مع مَن يهواه قلبه، فكان لا بدَّ من المحاولة من أجل الملاءمة، وهؤلاء عملةٌ نادرةُ الوجود بهذا الزمان، فمتى صادفتِ أحدًا مِن هؤلاء فلتتمسكي به بروحكِ وقلبكِ، ولكن إذا أفرطتِ في منح الفرص لمَن لا يُقدِّر؛ فستبقى النتائج واحدة؛ استخفافًا واستهتارًا من الطرف الآخر، ولا تغيير، وتبقين أنتِ الطرف المغلوب على أمره، ويصبح وجودك مضمونًا لأنك في نظره ضعيفة وساذجة، فتُنهكين وتُهدَر طاقتك، ولا تستطيعين المقاومة، فينتهي حماسكِ وتستسلمين.

مِن حقكِ إعطاء الفرصة مرة، ثم ثانية فقط، فمن يريدكِ سيُلبِّي نداء التغيير، ولن يضيِّعكِ مهما كان وَعِرًا ذاك الطريق، وإلا فليرحل وإليهِ لا تلتفتي.

ولتعي جيدًا أن منح الفرص بإفراطٍ يُفهَم على أنه ضعفٌ وسذاجة، ونتائجه سلبية، وآخرهُ ندمٌ وذكرياتٌ مريرة تقتل الروح ببطء.

مَن يحب بصدق يتعلَّقُ بالفرصة الأولى ولا يفلتها، بل إنه لا ينتظر فرصةً كي يثبت فيها أن حبه حبٌّ صادق، لا مِراءَ فيها.

أنتِ بحاجةٍ...

لمَن يُحِسُّكِ قبل أنْ يُحبكِ، مَن يفهم كلامكِ من سكوتكِ، مَن يتقبَّلكِ كما أنتِ، دون جدَلٍ أو نِقاش، مَن يهتم بأدق تفاصيلكِ، ويُراعي عصبيتكِ، ويفهم أنَّ مزاجكِ المتقلِّب ليس من فراغٍ؛ بل وراءه أسباب.

أنتِ بحاجةٍ لمَن يضمُّكِ في الغيابِ قبل الحضور، مَن يُخطِّط كيفَ يُحيي تلكَ الضحكة التي ماتت بداخلكِ، مَن يشعِركِ أنكِ مختلفةٌ عن باقي البشر، بل إنه يراكِ حقًّا غيرَ كُلِّ البشر، يحترم ماضيكِ ولا يستغله وقتَ غضبٍ أو خلاف، فيجد منكِ معاملةً لا تليق بأحدٍ سواه.

أنتِ بحاجةٍ لمَن لا تهون عليه دموعكِ، أو وجعكِ، أو خصامكِ، يحب وجودكِ، ويعشق روحكِ، ويعرف كيف يتأقلم مع كل ظروفكِ، يؤمن جيدًا أنكِ لا تستحقين إلا الخير، يبقى بجانبك مِن أجلكِ أنتِ يدومُ معكِ، لا تفتُرُ عاطفته، فلا يمَلُّ ولا يتغير.

اختاري... اختيارًا صحيحًا مِن البداية، مَن يصلح أنْ يكون لكِ السند، يكون أبًا وابنًا قبل أن يكون حبيبًا وزوجًا، حتى لا تندمي وتخسري الكثير، وإن لم يكن متاحًا لكِ الاختيار فلتُصرِّي عليه، ولترفضي إذا لزم الأمر؛ إنها حياتكِ، ومنذ صغركِ تحلمين وتخططين لها، فاصبري، واعلمي أن الرزق بيد الله، ولو تأخَّر فاعلمي أنه لا محالة الخير. وإنْ رزقكِ الله بمَن هو فقيرُ الحال، أو أنَّ إمكانياته وظروفه لا تسمح بالكثير من المتطلبات، ولكنكِ شعرتِ ناحيته بارتياح، وروحكِ ألِفَت روحه، يحترمكِ ويعاملكِ بلينٍ ويقدِّر مشاعركِ ويمنحكِ الاهتمام؛ فاعلمي أنه رزقٌ وهَبهُ

الله لكِ، وفرصةٌ لا تُعوَّض؛ فاقبليهِ، هو نعمَ الشريك، فربُّ الخيرِ لا يأتي إلا بالخير. ولكن، في المقابل، لا تسمحي لأحدٍ لا يستحقكِ أنْ يكسرَ قلبكِ، لمجرد أنه يملك الكثير من المال ومقومات الحياة والترف الزائل، فإنكِ ولا بدَّ خاسرة.

ولا تستندي بيومٍ من الأيام على كتفٍ لا تريدكِ؛ ولكنكِ تريدينها، فلا خيرَ في حُبٍّ مبتورٍ يقلّل مِن قيمتكِ واحترامكِ لذاتك.

وتأكدي أنه لن يبقى معكِ بالنهاية سوى مَن أحبكِ بصدق، ومَن كتبه الله لكِ أن يشاركك الحياة، فنقطةٌ، وابدئي مع مَن يستحقكِ وحسب.

لا تتعشَّمي...

في كل مَن يقول لكِ: «أنا معكِ»، «أنا بجانبكِ»، أو مَن يُقسم أنه معكِ للنهاية. لا تتعشمي في كل كلمةٍ حلوة،

أو هديةٍ رقيقة، أو مكالمةٍ جاءت بالوقت المناسب، أو رسالةٍ كنتِ بانتظارها، فالعشمُ الزائد هلاكٌ وإنهاكٌ للروح، وضياعٌ للفُرَصِ وللعُمر. العشمُ يكونُ على استحياءٍ ووَجلٍ وخجلٍ، ويكون فقط لمَن يستحق، والأفعالُ كفيلة بردِّ عشمكِ، إمَّا بخيرٍ وإما بشَرٍّ، إما بجبرٍ وإما بكسر؛ فلا تتعشمي عشمًا كاملًا إلا في الله، سبحانه كفيلٌ وقادرٌ على قضاء طلبكِ وحاجتكِ مهما كانت. تعشَّمي في دعوةٍ صادقة، أو صلاةٍ خاشعة، أو في رضا أمكِ وأبيكِ. تعشَّمي في أحدٍ لا يهونُ عليه أن يقولَ لكِ: «والله لم أقدر»، أو «رغمًا عني». تعشمي في مَن يبيع الدنيا مِن أجلِ أن ترضِي.

لا ترضي...

بأقلَّ ممَّا تستحقين، ولا تتنازلي عن حقكِ مهما كان، فتلك التنازلات ليس لها أيُّ قيمة لدى أناسٍ لا

يُقدِّرون. لا تقبلي بأن تكوني شخصًا ثانويًّا أو احتياطيًّا أو عِوضًا أو مجردَ سدِّ حاجةٍ، ولا تحاولي أنْ تحتلِّي مكانةَ أحدٍ سبقكِ بحياةِ أحد. لا تقللي من شأنكِ، فأنتِ غاليةٌ وتستحقين كُلَّ غالٍ، ومَن لا يقدِّركِ حق قدركِ فلا تجعلي له مكانًا بقلبكِ، وتأكدي أنَّ هناك مَن يتمنَّاكِ ويعرفُ قيمتكِ، ويعلمُ جيدًا ما تستحقين.

أيُّ أحدٍ...

لا يعرف قيمتكِ في غيابكِ قبلَ حضوركِ؛ لا يستحقُّ منكِ سؤالًا أو اهتمامًا، أو حتى مجرد التفكير به. هناك مَن كُلُّ أمانيهِ وجودك، أو رسالة منك ولو بالخطأ أو نظرةُ رضا من عَينيكِ، أو كلمةُ عطفٍ، أو جبرُ خاطرٍ لقلبه، فمَن لا يشعر بالعذابِ في بعدكِ وغيابك؛ لا يستحق لذةَ قربكِ ووجودك. وعلى الدنيا السلام...

أيُّ شخصٍ...

يرى أنه أكبر منكِ حجمًا وقدرًا ومنزلةً، وأفضل منكِ في أي شيءٍ كان، يرى نفسه بعين الكِبر والتعالي والغرور، وأنتِ مُجبرةٌ أن تقبلي به من أجل أن تسير الحياة، وتعلمين جيدًا أنه يملك مقدرةً فائقة على المكر والخداع، هذا الشخص لا تناقشيه ولا تحاوريه أو حتى تجادليه، فهو يرى أنه الشخص الوحيد ذو الرأي السديد على هذا الكوكب، وباقي البشر في نظره مخطئون، هو لا يراكِ، وأنتِ بالنسبة له لا شيء، فلا تترددي في تركه، كوني على درجة كبيرة من التقدير لذاتك والوعي بقيمتكِ، كوني حذرةً، فلا تدخلي في صراعاتٍ أنتِ في غنًى عنها؛ لتعيشي في سلامٍ نفسي بينكِ وبين نفسك، وعندما يحين الوقت المناسب؛ ستطرده أفعاله ومعتقداته الخادعة خارج دائرة حياتك، وعن اقتناعٍ تامٍّ لن تلتفتي إليه مُطلقًا، لأنكِ لم تعامليه بنفس أسلوبه الخادع، ولم تسيئي إليه رغم ما

يملكه من لؤمٍ وأسلوبٍ دنيء ستجدين أنكِ قد فعلتِ الصواب، حيث لا ندم أو حزن أو عتاب أو جلد ذاتٍ لروحِك.

لا تسمحي...

لأحدٍ أنْ ينتقدَ كلامكِ، ولا أسلوبكِ، ولا مشاعركِ، ولا شخصيتك، بلا وجه حق، فلا أحدَ من البشر كاملٌ، ولكل شخصٍ على وجه الأرض طريقته وشخصيته وأسلوبه الذي يميزه، فلا تسمحي لأحدٍ أنْ يُبدِّلَ قناعتكِ بأمرٍ أنتِ على اقتناعٍ ورضًا تامٍّ به، ولا تسمحي باللوم المستمر لكِ من أيِّ شخص، أو بنظرةِ استعلاءٍ أو تكبُّرٍ أو غرورٍ تُوَجَّهُ إليكِ، فهم ليسوا بأفضل منكِ، ولا أجمل منكِ، ولا يسبقونكِ بشيءٍ البتَّة، فالملائكة يسكنونَ السماءَ لا الأرض، وهي أرزاقٌ قد توزَّعت، وقُضِيَ فيها الأمر، وما الكمالُ إلا لله وحده، خالقُ كُلِّ الخلق.

لا تعتذري...

ولا تبرِّري موقفكِ لأحدٍ أكثرَ من مرَّة، لكِ الحقُّ أن تدافعي عن نفسكِ بكل ما أُوتيتِ من قوةٍ ما دُمتِ لم تُخطئي، وعليكِ أنْ تعتذري إذا بَدَرَ منكِ تقصيرٌ أو خطأٌ عن غيرِ عَمد، وأن توضِّحي ما الذي كنتِ تقصدينه، وفي كلتي الحالتين لا بدَّ أن تشعري بالرضا عن نفسك، وبمُجرد أن تُنهي حديثكِ معه يجبُ أن يسودَ الرضا المكان الذي يجمعكما، ولا ينبغي له أن يكرر عتابَه لكِ إن حدث فيما بعد موقفٌ شبيه لأمرٍ قد اعتذرتِ عنه من قبل، وعليه ألا يعاود تذكيركِ به؛ كي لا يعتاد ذاك الأمر. إذن فلا بدَّ أن تعيَ الأمر جيدًا وأن تحفظي كرامتكِ، فكرامةُ المرأة في الحُب وعُذريتها سيَّان فإياكِ والتفريط في إحداهما، وعليه... إن لم يتطلب الأمرُ منكِ اعتذارًا فلا تعتذِري...

لا تنبهري...

بأحدٍ بطريقةٍ مبالغٍ فيها، حيث تضعينه بمكانةٍ أكبر مما يستحق، وهذا يعني أن تتعاملي ببساطةٍ وتقبُّلٍ مع كل الأشخاص وكلامهم وأفعالهم، ومع وجودِ الأشياءِ وفقدها. لا تنبهري إلَّا لموقفٍ لأحدهم حينَ ميَّزكِ عن غيركِ، أو جبرَكِ في وقتٍ جرحكِ وكسركِ فيه الجميع، أو آمنَ بكِ وقتَ كفرَ الكلُّ بوجودكِ وبذاتكِ، أو اشترى خاطركِ بروحهِ، مجرد انبهار بموقفٍ لا بشخص، حتى لا يأتي عليكِ وقتٌ تتبدل فيه معاملتهم لكِ فتندمي.

أمَّا مَن تستحقُّ الانبهارَ فعلًا فهي أنتِ، أن تشاهديهم بمنتهى الهدوء وهم مُنبهرون بصمتكِ ولا مُبالاتكِ، وعدم اكتراثكِ بمواقف يحاولون بها إبهاركِ، أو لفتَ نظركِ لكُلِّ ما هو لا يعنيكِ ولا يحملُ الخيرَ لكِ، فلا تنبهري، ودَعيهم هم ينبهرونَ بك.

في الحقيقة...

لا أحد في الدُّنيا بأكملها يشدُّ عودَ البنتِ ويقوِّيها إلا أبوها، ولا أحد بالدنيا بأسرها يكسرها مثل أبيها، الأبُ هو المسؤول الأول والأخير عن الصحة النفسية لابنته، فمَن شبِعَت من حضنِ أبيها حُبًّا واهتمامًا، وحنانًا واحتواءً، لن يستطيع أن يكسرها أحدٌ أبدًا، فهو قد منحها القدرة على تجاوز أي محنة وتَخَطِّي أي عقبة.

الأبُ الذي يحنو ويُعلِّم ويحتضن ويناقش، غيرُ الأبِ الذي يعامل ابنته بقسوةٍ وتجاهلٍ ولا مبالاة، ولا يسمح لها بالحوار أو النقاش، هو فقط يأمر وينهي؛ فهذا خطأٌ وهذا حرامٌ، وهذا عيبٌ وذاكَ مرفوض، كلمتهُ دائمًا هي العليا، ورأيه فقط هو الصواب؛ بحُجَّة أنه يعرف مصلحتها أفضلَ منها، ولكنه في حقيقة الأمر يكسرها ويقضي عليها.

الأبُ هو الحُبُّ الكبير لابنته، هو مثلُها الأعلى، الذي يظلُّ محفورًا بداخلها طوال العمر، وهو الذي أكسبها مناعةً ضد كل عثراتِ ومصائب الحياة. فاللهم اجزِ كل أبٍ ضمَّ ابنته واحتضنها حيًّا كان أو ميتًا خيرَ الجزاء.

أيُّ علاقةٍ...

تحتَ أيِّ مُسمَّى لا تنعمين فيها براحةٍ أَنهيها فورًا، اخرجي من سراديبها المكذوبة حالًا، أَغلِقي أبوابها بسرعةٍ.

متى انعدمت الراحةُ لأيِّ سببٍ، فلا تُكملي في تلك العلاقة، أنتِ لستِ بديلًا لأحدٍ، ولا سدِّ خانةٍ، أو ملئًا لفراغٍ، ولا أنتِ متاحةٌ لمَن يستغلكِ من أجل غَرَضٍ في نفسه، يحصل عليه ثم يتركك.

مَن يحبكِ بصدقٍ سيقدر وجودكِ، ويحافظ عليكِ كأنكِ صدقةُ سرٍّ يريد بها الفوز بالجنة، سيجعلكِ جوهرته المصونة التي لا يستطيع الاستغناء عنها إلا بها... أنتِ غالية.

كُلُّ شخصٍ...

علّقتِ عليهِ أُمنيةً وخذلكِ، هذه في حد ذاتها نعمةٌ، تشكرين الله عليها، لا تتعبي، ولِمَ العجب وقد كان سببًا في أنه بَصَّركِ بحقيقة الأمر، إنها إشارةٌ ربانية بأن الله معكِ، لن يتركِكِ، يعطيكِ القوةَ لتتعلمي كيف تواجهين الحياة، فلا تتألمي أو تندمي على شخصٍ خذلكِ، لأن الأيامَ دُوَلٌ، وكما خذلكِ سيُخذلُ من الجهة التي لا يُتوقع منها الخذلان، كما فعل معكِ تمامًا، فكما تدينُ تُدان. فانهضي واثبتي، ولا تسمحي لنفسِكِ بالانكسار أو الوقوع، فمثلكِ إن وُجِد لا يقعُ أبدًا وليس لها في القاعِ مكان.

لو أَنَّكِ...

متعلِّقةٌ بأحدٍ ولا ترينَ حياتكِ دونهُ، فلتعلمي أنكِ مخطئةٌ مِن ذروة سنامِك إلى أخمص قدميكِ، فلا أحدَ يموتُ لفراق أحد، ولا تقف الحياةُ من أجلِ أحدٍ مهما كان ولو كانت الدنيا تقف على أحد، فكيف كنتِ تعيشينَ إذن قبلَ أن تعرفيه؟! وكيف استطعتِ الحياةَ من بعده؟! فلتكوني قويةً من أجلك، أنتِ لستِ بضعيفةٍ، وعلى قدرِ مُعاناتك وقهركِ وتضحياتك؛ ستُجازينَ خيرًا، وتأكدي أنَّ مَن تسبَّبَ في إيلامك سينَالُ عقابه، وسيبعثُ الله لكِ مَن يقدِّر قيمتكِ، مَن يَود أن يُقَبِّلَ ذاكَ الثرى الذي تُخطه قدماك.

تتذكرين...!

أسوأُ أيامٍ أوجعتكِ، لم تكوني تتوقعينَ أنْ تمرَّ، ولكنها مرَّت، وستأتي بعدها الكثير من الأيامِ بحلوها ومرِّها،

فلتتعودي ألا تنكسري، وألا تضعفي، وألا يظهر ضعفكِ أمام أحد، ألا تعلمي أن الله غفورٌ رحيم؟! فاذهبي إلى الله وإن ملأتكِ الذنوب، سيقبلكِ، ويغفر لكِ، ويجبر خاطرك، ولن يكشف الله عنكِ غطاء ستره، فهو الأمانُ والملجأ والملاذ والسند، فثقي برحمةِ ربكِ واستبشري، ولا تُلقي بالًا لأحد فكلٌّ مُعاب لولا الستر.

لا أحدَ فينا...

يريد لنفسهِ أن تتوجع، أو تُجرح، أو يصيب قلبه أيُّ أذى أو مكروه، لا أحد يريد أن يضيعَ عمرهُ هباءً، لا أحد يودُّ أن يُحرَم من الراحة والسلام النفسي كي يستطيعَ أن يُحِبَّ ويُحَبَّ، ويواسي ويجبر ويكون سندًا وأملًا ومحورَ ثقةٍ وأمان، ولكننا السبب للأسف نحن مَن نتسبب في كل ما يؤرقنا ويعكر صفو راحتنا، نبحث عمَّن يؤلمنا، نسمح للأشخاص الخطأ بأن يمصّوا

دماء قلوبنا، ويبيعونها بثمنٍ بخْس، ولا يبقون على ذكرياتٍ أو أيامٍ قضيناها معهم، فنحن نعطي الكثير من الفرص، ونأمن لهم بطريقةٍ مبالَغٍ فيها، ونخلق لهم الأعذار والحجج، نقدِّرهم ونصبر عليهم، ولكنهم لا يستحقون أيَّ طاقةٍ أو مجهودٍ نبذله معهم.

قدِّمنا الخير ولم يُرَد إلينا، هكذا تربينا، أن نعطي ونصون ونكرِم ونتمسك بكل ما أُوتينا مِن حُب، ونواسي ونحنو حتى في أَوْجِ احتياجنا، لا نؤذي ولا نخدع ولا نجرح ولا نخلِف وعدًا، كُنَّا نعمةً مِن الله لن يستطيع أن يفهمها أو يقدرها إلا مَن يشبهُنا وهم نادرون فالحمد لله على نعمة الحب دون مقابل، والجبر للآخرين رغم ما بنا من كسور، والأصل الذي نشأنا عليه في زمنٍ تتمحَّص فيه النفوس؛ ليميزَ اللهُ الخبيثَ مِن الطيب.

أجملُ مرحلةٍ...

يُمكنُ أنْ تصلي إليها هي مرحلةُ (الاستغناء)، لا تأبهينَ لوجود أحدٍ أو غيابه أيًّا كان لا تسألين، ولا تنتظرين جوابًا، لا تخشينَ وجعًا أو فقدًا، ولا تكترثين لتغيُّر أحد، بل ولا تبحثين عن أسبابِ تغيُّره، لم يعد يعنيكِ أمرُ مَن يظهر لكِ حُبًّا ويُضمِر لكِ كُرهًا، لا تعاتبين غائبًا، ولا تهتمين لأمره بالأساس، تتجنبين الحوارات والنقاشات طلبًا لراحةِ البال، استغنيتِ استغناءً تامًّا عن أيِّ اهتمامٍ أو عتابٍ أو حتى سؤال.

أصبح الأمرُ مريحًا لكِ وأكثرَ أمانًا، فما عُدتِ تُحَمِّلينَ نفسكِ ما لا تُطِيقين، لا تبريراتٍ إرضاءً لأحدٍ، أو خوفًا من لومٍ أو عتاب، لا فرقَ عندكِ بين الجميع؛ فقد باتَ الكُلُّ في نظركِ سواء.

مَن يُقَدِّر وجودكِ، تصنعي له من روحكِ فوقَ الوجودِ وجودًا، وإلا فاستغناءٌ تامٌّ. أنتِ أنتِ واكتفِي.

في أشدِّ وقتٍ...

كان النبي صلى الله عليه وسلم مُضطَّهدًا ومُحارَبًا في عقيدتِه وحياتِه الشخصية؛ هَيَّأَ الله له (سيدة)، ولكنها ليست أيَّ سيدة، دعونا نجمِّلها أكثرَ حروفًا ومعنًى إنها السيدةُ «خديجة» أم المؤمنين رضي الله عنها أول من آمنت به من النساء، في أحلكِ الظروفِ والأوقات العصيبة.

هي (السَّنَد)، مَن صدَّقته حينما كذَّبوه، وآوته عندما نكروه، وأَمَّنَتهُ وقتَ أخافوه، ووصَلته عندما قاطعوه وهجروه.

كانت ذاتَ حسَبٍ ونسَبٍ، وكانت أكبر منه سنًّا؛ وأكثر منه مالًا، ولم يرفضها لكبر سنها، ولم ترفضه لأنه فقيرٌ أو أصغرُ سنًّا منها أو قليلُ الخبرة، بل استأمنته على تجارتها وأموالها وحياتها.

كان اختيارًا من الله أن يكونَ زوجها أشرفَ مَن خلَق، وأن تكون زوجته أكملَ نساءِ العالمين، وَفَّرت

له الأمانَ والسلام، واحتوته وأحبَّته، وافتخرت به أمام العالمين، كان حبيبها وصاحبها وزوجها، كان الحياةَ في عينيها، والجنةَ في قلبها، كان عالَمُها وعالِمها ومُعلِّمها الأول، ومِن أجل ذلك كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تغارُ بشدةٍ مِن كثرةِ ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم اسمها بعد موتها بالفضلِ والمعروفِ والخير.

المرأةُ؛ متى نشأت في بيتٍ أصيلٍ، وأُحسِنَت تربيتُها؛ كانت لكَ نِعمَ الزوجة والابنة والسند، تحبكَ أكثر من نفسها، تحملكَ داخل قلبها، تقرؤك من عينيك قبلَ أن تتكلم، تشتاقُ إليكَ وأنت معها، تفرحُ لفرحك، وتتألمُ لحزنك، تعاونكَ في شدتكَ، وتنسيكَ همكَ.

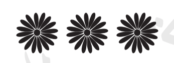
ومعنى «السَّند» لن يشعرَ بهِ إلا مَن أحسَّه وعاشه، واستطاع أن يقدِّمه على طبقٍ من حُبٍّ.

«السَّند»؛ هي التي تُراضيكَ، تواسيكَ، تهتم بتفاصيلكَ، ولا تتحمَّل بُعدكَ أو هجركَ.

السَّند؛ هي التي تكونُ أُمًّا في النصيحةِ، وبنتًا في الدلال، وغُصنَ سلامٍ يطرح حُبًّا ورحمةً ومودةً...

«السَّند»؛ إنْ كان امرأةً، وأحبَّت؛ فإنها تُغنِي عن العالمين...

ويا ليتَ قومي يعلمون...!





بقايا الذكريات...

العالقة بوجدانك... أما آن الأوان للتخلص منها؟!

أما آن الأوان لتفريغ العقل مما تسبب في ذهوله وغيابه؟!

تلك الذكريات التي لم تعد صالحة للاستخدام، وأصبح وجودها غيرَ مرغوبٍ فيه...

تلك التي تسببت في حُزنك، وألمك، ودموعك...

تلك التي جلبت لقلبك الخيبات، والحسرات...

تلك التي خذلكِ أصحابُها، ورحلوا...

أما آن الأوان لتلكَ الذكريات أن تُنفَى، أو تُحرَق، أو تُمزَّق إلى أشلاء؛ يستحيل جمعها؟!

أما آن...؟!

الانتظار...

المُعاناة القاسية، والرياح العاتية، والضربات الموجِعة المُبرحة، بين ترقُّبٍ، ورصدٍ، ولهفةٍ، وحُلم، ورجوع، وأملٍ، ويأس... الانتظار لديكِ يُصيبكِ بالهوس والهلعٍ والخُزعبلات والتنبؤ والاستشعار...

ألفُ شعورٍ متضارب يخالط قلبكِ وعقلكِ وجوارحكِ كلها... تنتظرين شخصًا ما، فيه حياتك...

تنتظرين غائبًا يعود؛ لتعود حياتك...

تنتظرين اتصالًا؛ يُغير مجرى حياتك...

تنتظرين أيضًا حياتك التي مرت من خلالك، ولم تشعُري بها، تنتظرين تكرارها لاغتنام فُرص فيها...

تنتظرين فرحةً، أو جبرًا، أو حالًا غير الحال...

تنتظرين أشياء تعود، وتنتظرين أيضًا أشياء أبدًا لن تعود... الانتظار أمات قبلكِ أشخاصًا، وهُم على قيد الأملِ ينتظرون، فلا تلحقي بِهم.

الخِذلان...

الخذلان الأول في كُل شيء؛ سيترك فيكِ وجعًا لا يُطاق، ومَرارًا لا يُنسى، وقلبًا هشًّا لا حياة فيه، لدرجة أنكِ ستبقين خائفةً من ظلك...

عندكِ من الحُب ما يكفي العالم، وكتفًا لينة يسع المُتعبين، ولكنك لم تعُودي تأمنين أحدًا، ولا تستريحين لأحد، فالجميع في نظرك خائنون، بعدها ستتحولين رغمًا عنكِ شخصًا آخر، لا يُحِب ولا يُحَب، لا يؤلَف ولا يألف، فالحذر كُل الحذر أن تُعطي الأشياء كُل ما لديكِ دُفعةً واحدة، فكُل الذين أعطوا ما لديهم دُفعةً واحدة خابوا وخُذِلوا...

يؤلمكِ أن يخذُلكِ الذين ظننتِ بهم خيرًا، ووهبتِ لهُم حُبًّا، وأفضتِ عليهم ودًّا وقُربًا...

أن يخذلكِ الذين بنيتِ لهم في روحكِ بيتًا فخرَّبوه، ورسمتِ لهم على شفاههم ابتسامة، فسرقوا ابتسامتكِ...

الذين بدأتِ معهم طريقًا، وفي منتصفه تركوكِ دونَ عُذرٍ أو سبب...

أن يخذُلكِ الذين تمسكتِ بهم، فأفلتوكِ...

الذين حفظتِ عهودهم وأسرارهُم، وهم خانوكِ سرًّا وعلانيةً...

الذين منحهم قلبُكِ أسباب الحياة، وهُم نصبوا لكِ مشانقَ الموت بالغدر والطعن...

الذين أحسنتِ بهم الظن، وخيبوا فيهم رجاءكِ...

كم هو مؤلم الشعور بالخذلانِ هكذا...

كان الله في عونكِ إن فعلوا، ولا سامحهُم الله مِن أجل ظنك.

البُخل...

ليس فقط في المال، بل في المشاعر والاهتمام والاحتواء واللين والكلمات الرقراقة...

تكرهين البخيل عليكِ بوقته، والبخيل عليكِ بسؤاله، والبخيل عليكِ برد جميلك معه، والبخيل إن غبتِ، والبخيل في حضورك، والبخيل إنْ مرضتِ، والبخيل إن تعثرتِ...

يؤلمكِ البُخل، وأصحابه، ويتركون في نفسكِ أثرًا سيئًا، كُلما ذُكرت سيرته أمامك ذُكر عندكِ البُخلاء الذين يقبضون أيديهم من العطاء، وعيونهُم من التمعُّن والنظر، وقلوبهم من الحِس والشعور، بُخلاء حتى مع أنفسهم كأنَّ على رءوسهم الشُّح!

الإهمال...

بعد أن بُحتِ لهم بمشاعرك، وعلموا ما بين جوانحك، وأيقنوا بامتلاكك، أهملوكِ...

كان الفضول يقتلهُم في أمرك، كم ادعوا أنهم ودُّوا أن يشاركوكِ فرحِك، ويقاسموكِ وجعك، ولما وصلوا إليكِ أهملوكِ...

كانت مشاعرهم مُزيفة، وأساليب قُربهم خادعة، وتصرفاتهم واهية، فأهملوكِ...

أتذكرين حين كانوا معكِ خطوةً بخطوة، وكلمةً بكلمة، واهتمامًا باهتمام...؟!

كانوا لا يشغلهُم عنكِ شاغلٌ، الآن هُم عنكِ منشغلون، وبغيرك مهتمون، وإن كانوا معكِ فهُم عند غيرك...

أصبحتِ وحيدة بهم، وهُم مؤنَسون بغيرك، بعدما أزحت لهم عن ستائر أسرارك ومشاعرك واحتياجاتِك دُفعةً واحدة، وكشفتِ عن ساقَيكِ، وتعريتي أمامهُم من كل خباياكِ، فأهملوكِ.

الغياب...

أشبهُ عندكِ بالموت المؤقت، حيثُ يثيرُ فيكِ الظنون ويفتعِل بداخلكِ الشجون، ويسرقُ فساتين الفرح من ليالي عُرسكِ، ويُغرق أشرعة نجاتِك، ويُغرقكِ في دوامات القلق والحيرة، ويُطفئ نور شمسكِ، ويُخفي نور القمر في عيونك، فيسمح للهالات السوداء أن تغزوها، وتحتلها وتكتسح...

الغياب عندكِ يجعل الدنيا سوداوية الملامح، شاحبة ألوانها... الغيابُ يُزعجكِ، ويؤلمكِ، ويُمرضكِ، ويجعلكِ كالعجوز الواقفة على حافة الهاوية، أو سُرادق العزاء لميت، الجميع يوقن بموته إلا أنتِ، من داخلكِ ما زلتِ رافضةً للخبر...

ثوراتٌ وبراكين مِن اللهفة لذاك الغائب، التي لم تُخمد نيرانها بداخلكِ بعد...

الفِراق...

حيثُ قلبٌ فارقه النبض، وروحٌ عدمت الحياة، وعينٌ جفَّ بها الدَّمعَ، وجسمٌ أصبح هزيلًا سقيمًا عليلًا هشًّا...

حيثُ اسوداد الدنيا، وفقد شهيتها، وعدم القدرة على التلذُّذ بما تحتويه مِن ملذَّاتٍ ونِعَم...

حيثُ المكوثُ الطويل في دائرة الحُزن والاكتئاب، والهزائم النفسية المُتتالية، والركضُ المستمر وراء السراب واللا شيء... هذه أعراض شخصٍ واحدٍ فارقكِ بسببٍ، أو بدون، بعُذرٍ، أو بغير عُذر، بعد حُبٍ، وتعلُقٍ، وشغفٍ...

قلبان كانا قد اتفقا على السيرِ معًا، فاختلفا في الاتفاق...

هذا ما فعله الفراق بِك، ترككِ للموت، تلفُظين أنفاسكِ الأخيرة، وتحيين حياة البؤساء، وتأملين في العودة والرجوع...

هذا ما تسبب فيه الفراق من تعبٍ، وسهرٍ، وأرقٍ، ومُعاناة...

شخصٌ زرع فيكِ سهامَ الفراق، وغادر بلا عودةٍ، أو أملٍ في الرجوع...

مُشفقٌ عليكِ كلما تذكرتِ، أو أخذكِ الحنين لوادي الشوق، حتى تُجَنِّين بمَن فارقك، حيثُ اللحظات الخالدة بوجدانِك، والكلمات المحفورة بذاكرتِك وأعماقك، وحِفظ تواريخ الذكريات زمانًا ومكانًا، وروائح العطور، وأصوات الطيور والسيارات، والموسيقى الهادئة، أو الصاخبة، وترتيب اللوحات الإرشادية في الطُّرقات...

آهٍ مِن وجع الفراق، إن تخللَ وتمكَّن...

آهٍ، ثم آه... فتاللهِ لو كان الفراق رَجُلًا لقتلته، أو أفقدته رجولته إنْ فكرَّ أن يُفارق.

الهجر...

لماذا يؤلمك؟!

أحياتُكِ عليهم متوقفة؟!

أم أنَّ الأكسجين بيدهم؟!

أم أنكِ ترين بعيونهم، وتنبضين بقلوبهم؟!

ناهيكِ أنْ تتألمي إنْ هجروكِ لعلَّةٍ، فجميعهم علل، ولن يبقى لكِ إلا الذين صدقًا يشبهونكِ ويحبونكِ بلا هدفٍ أو غرض...

الهجرُ إن لم يكُن محمودًا ليتجدد الحُب، ويُعرف القدر ويُحفظ الود، وتستمر المشاعر في وصلها، وعطائها، فمذمومٌ ومدحورٌ أمرهُ...

فإن هُجرتي، فابقي في مكانكِ ثابتةً، فمَن أعاد الوصل مُعتذرًا، فاقبليه، ومَن أطال الهجر وأحبَّهُ، واستلذَّ به، فعليهِ وعلى هجره ودُنياه السلام، ومِن جنتكِ دون تفكيرٍ أو تمهُّلٍ اطرديه، وقُضِيَ الهجر.

الغِيرة المُفرطة...

لا شك أن الغيرة هي العمود الفقري للحُب، الذي إن أصابهُ خلل هُدِم وسقط، وسكن لهيب نارهُ التي يجب ألا تُخمد، وخبا شُعاعَ نوره الذي يجب ألا يُطفَأ...

ولكن... إن كانت الغِيرة في الحد المعقول، وغير مُغَالٍ فيه، الذي يجعلها تسلُك طُرق الشك والوسوسة الممزوجة بسوء الظن، وانعدام الثقة، وفقد الأمان...

الغِيرة هي المقياس الدقيق للعواطف، والميزان العدل في تبادل المشاعر، لا سيما إن كان الحُب مولودًا من رحم المعوقات، والعقبات، والتضحيات الكثيرة؛ حُبًّا جاء من أقصى الأملِ يسعى، لم يكُن سهلًا ميسورًا...

الغِيرة لديكِ... إن كانت باتزان، وعقل راشد فطِن، كانت محمودة مطلوبة، مرغوبًا فيها وفي صاحبها، فهي تُشعرك بقيمتك، وكينونتك، وأنوثتكِ، وتميُّزُكِ، وانفرادِك في القلب عن الآخرين.

حُب التملُّك...

حين يُفرض عليكِ الحصار بدافع الحُب، والشعور بالسيطرة والهيمنة على منافذ حدودك، فتشعرين أنكِ مُكتَّفة، مُقيدة بأغلال المَلَكة والأنا...

كأنكِ دُميةٌ، أو أَمَةٌ لا رأي لكِ، لا مشورة لكِ، ولا ردَّةَ فعل لكِ...

ليس لكِ وجود، أو سلطان، أو أدنى حق، حتى في الأشياء التي تخُصك...

تشعرين أنكِ خاتمًا في إصبَع مبتورة، لا يحقُّ لكِ الفكاك، أو الخلاص، لا رحمةً منكِ ولا تفهُّمًا منه، وهذا ما يدفعكِ للتملُّق، والتضجر، والبحث عن التملُّص، والتخلُّص، والتخلي، وغلق جميع نوافذ الحُب لديكِ، كونها مُحاصَرة، وكونكِ تأبين أن يتملككِ أحدٌ، مهما كان، أو مهما قدَّم إليكِ من قرابين الحُب...

إذًا... كيف يمتزج الحُب بالتحكُماتِ، والقيود، وقد خُلقتِ حُرةً، طليقةً، لا سُلطان عليكِ بعد سُلطان الله؟!

الكذِب...

مرفوضٌ عندك، بل تُبغضينه كألدِّ أعدائك...

تكرهينه، وتكرهينَ أصحابه، وإن برروا كذبهُم بحُجة ألا تُسيئي الفهم في موقفٍ ما، وإن ادَّعوا أنُهم كذبوا عن غير قصدٍ؛ لإبقائك والحفاظِ عليكِ...

تكرهين الكذب، وتشعُرين بالحماقة حين تتوصلين لحقيقة الأمر الكاذب...

يعزُّ عليكِ؛ كيف كُنتِ ساذجة لهذا الحد الذي جعلهُم يكذبون. الكذب عندك مذمومٌ، ممقوتٌ، لا فُرصَ فيه لمن فعلوا، ولا أمانًا آخر لهُم كسابق عهدهم معكِ، وإن بدا لهُم منكِ غير ذلك.

التصنُّع...

حين تشعرين أن الذي أمامك يُعطي بلا شعور، ويمنح بلا عاطفة، ويهب كالآخرين، ويتساوى معهم بعد أن كان يفوقهم حسًّا وشعورًا، أصبح كمن يؤدي واجبًا بلا قيمة أو مذاق، فيخلعُ عنه عباءة البساطة، ويرتدي ثوب التكلُّف الثقيل، أصبح روتينيًّا مُملًّا، يؤلِمك هذا كونكِ بسيطة عفوية تُحبين أن تبقى الأشياء على حقيقتها، والأشخاص على هيئتها، والمشاعر على طبيعتها...

إذ لا دافع أبدًا للتصنُّع، وإظهار عكس الباطن، والتظاهُر بالنقيض... فلا الطبيعة تخسر، ولا التصنُّع يدوم.

الشك...

صديقُ سوء لمن لا صديق له...

يتمثَّل في صورة ملاك مُحب للنُصح، والعلم بالشيء، ومعرفة الأشياء على حقيقتها، وهو شيطان لَعِين، يهوى الظلم والوقيعة، وقلب الحقائق إلى كذب وزَيف...

إياكِ ومصاحبة الشك، أو مجالسته؛ فالمرء على دين خليله.

الردود الباردة...

كأن تكوني في حالة غليان عامة في أثناء خوضك لحوارٍ أو مُحادثة، وتشعُرين باللامبالاة، فتارةً يأتيكِ الرد مُغلفًا بجليد يعلو جليد القُطب الشماليِّ بمراحل، وتارةً يأتي مُتأخرًا كعربات الإسعاف، أو عربات الشرطة في الأفلام القديمة...

ردًّا خاليًا من الاهتمام والإصغاء والتوتر أو القلق ولو كذبًا، بينما دمكِ يغلي، وضغطكِ يرتفع، وتفقدين النطق أحيانًا، ومن ثمَّ تلعنينَ المكان والزمان والإنس،

والجانّ، والشيطان، رغم أنَّ الشيطان ليس له سُلطان على البارين، بل هي أنفسهُم الأمَّارة بالسوء، والردود الباردة...

وهل هناك أسوأ من أن يُعاقِب المرء نفسه بتحمُّل شخصٍ باردٍ غير مُبالٍ، يغلب عليه ديسمبر في الصقيع؟!

المرحلة السخيفة...

أو ما يسمونها «المُنتصف المُميت»...

مِن أسوأ المراحل التي تعتري شخصًا ما، حيث يبقى حائرًا بين أمرين، لا يملُك الحسم بينهما، وغالبًا ما تكون بين أنْ تستمر في أمرٍ ما، مُتحليًا بمزيد من الصبر، مُتخليًا عن شيءٍ من الكرامة، مُتمسكًا بالحبال الواهية الزائلة، أو أن تترُك وتُفارِق، وتتخلَّى، مع فقد الكثير من الأمور التي يصعب عليك نزعها من روحك وقلبك خشية عدم تكرارها، أو حُزنًا على ما قدمته من أجلها، وحاربت لبقائها...

الكثيرُ منَّا يقع في هذه المرحلة؛ لا سيما في قصص الحُب الواهية، والدراما السمجة، والتعلُّق بأشخاصٍ أقل ما يُقال في حقهم: إنهم (أشباه)، بل إن شئت قل: (أشباح)، يدخُل الواحد منهم حياتك، وهي مقلوبة رأسًا على عقب، ويرى القبيح فيك قبل الجميل إن رأي جميلًا ثم يُقسم، ويَعِد، ويُقدم كُل القرابين على أنه غيرُ مَن سبقوه، هو المُنقذ الأوحد، والفارس الأشجع، الهُمام التمام، ثم سُرعان ما يحصُل على غرضه البخس أيًّا كان نوعه ثم تُخلق الأعذار، والحِجج، والأشياء الأخرى، التي كان يجهزها قبل الخوض في اصطياد فريسته، ثم يتركُكِ، ويخذلك، ويتخلَّى عنكِ، وأنتِ حائرةٌ، قلقةٌ، مضطربة الأركان، وما عادَ فيكِ موضع سوطٍ للخذلان، ليُكمل ما فعله المجرمون قبله، ثم تتساءلين: هل أنا السبب؟

هل هو السبب؟

هل، وهل، وكثيرٌ من التساؤلات، إلى أن تأتيك سكتةٌ، وبلا مَوتٍ تموتين...

تلك المرحلة لا خيار فيها إلا البُعد، والترك، وإغلاق كُل النوافذ المؤدية إلى شعاع الكذب، الذي تسلل إلى قلبك...

إياكِ والصبر على الأذى، لا تستمري أبدًا...

فمَن تركك مرةً سيتركك ألفًا، ومَن عرض عليكِ بضاعة الهجر سيطرحكِ أرضًا، دون أن يُسمِّي عليكِ، ومَن رأى الجميل فيكِ ففرح به، ولمَّا رأى قبيحكِ تضجر وعبس، لا يصلُح لكِ... لا تقعي في فخ: «أعطني فُرصةً أثبت لكِ»، فتلك مُصيبة عظمى لبقائك بين الحياة والموت، حتى تُستكمل المُهمة بنجاح...

اخسري ما فات، ولا تخسري نفسكِ والآن، فمن يحبكِ يحبك، لا معنى ثانٍ لها...

لا تُبقي على أحد، ولا تُقدمي أعذارًا لأحد، فأنتِ تستحقين أن تكوني في أعين الآخرين مُعجزةً؛ من

يُريدها صدقًا يعرف كيف تتحقق مُعجزاته، أو يعرف كيف السبيل إليكِ دون عرجٍ، أو عمى...

أعيدي ترتيب روحك؛ تجدي لرَوحك مَن يشتريها برَوحه إن أردتِ...!

الاستغلال..

أن يتسلل إليكِ الأشخاص عبر نقاطِ ضعفك، في طيبتك، وبراءتك، وعفويتك غير مُنقطعة النظير، فيستغلونها، ويتهافتون عليها، فينهشون مشاعركِ، ويتقاسمون دواخلكِ، ويتآمرون عليكِ سرًّا وعلنًا، ويبنون عليكِ آمالهم العريضة، حتى إذا تحققت، ووصلوا لمُبتغاهم منكِ، ودَّعوكِ، وولَّوا إلى غيركِ فرحين، دون شعور بالذنب، أو ندبةً بالقلب، أو أدنى شفقةٍ عليكِ بما اقترفته أيديهم في جنبك، وكأنَّ جُرحكِ لم يكُن...

هُم نجحوا في استغلال الطفلة البريئة التي تقطُن بداخلك؛ في التلبية، والسمع، والطاعة؛ مُعتمدين على خجلك وحيائك، قرؤوكِ يا مسكينة... فاستغلوكِ.

التسرُّع...

فتراكِ تقعينَ في الأشخاص بسُرعة البرق، وسهولة المضغ، دون النظر للعواقب الوخيمة التي قد تحدُث قبل معرفتك بهم جيدًا، ومُخالطتهم عن قُرب، ومُعاشرتهم التي تظهر فيها صورتهم الحقيقية، وتتضح فيها ملامحهم الأصلية...

أنتِ مُتسرعة في الإقدام على كُل من يُلقي عليكِ السلام، دون وعيٍ أو حُسبان...

تتسرعين في اتخاذ القرارات؛ سواءً بالاندفاع فيها، أو التأخر عنها، وتُعلقين الأمر أكثر من اللازم دون حزمه، أو حسمه، أو الفصل فيه...

مُندفعة في العطاء، والسخاء، والمُجاملة، وهذا خطأٌ في حقكِ لو تعلمين عظيم...!

تتسرعين؛ ومن ثمَّ تندمين... وهذا يؤلمِك حقًّا!

أقلعي عن التسرُّع، ورفقًا بكِ، ورويدًا... رويدًا...





ساذجة...

قلتُ: لَمْ تكُن ساذجةً قطُّ، كانت عفوية إلى حدٍ بعيد، يُشعِر الذي يراها مِن أول وهلةٍ أنها طيبة، تخشى دائمًا أن تكون حِملًا على الآخرين، لا تستطيع البوحَ عمَّا يُحزنها، إلَّا أنه يبدو على ملامحها رغمًا عنها...

لا تُجيد تفسير الأمور، ولا شرحها حين تُظلَم، أو تُؤلَم، أو يضِيع حقها...

تُسامِح ولا تنسى، تُعاتِب ولا ترضى، تُفارق ولا تعُود...

لم تكُن فاتنةً، يُشارُ إليها بالبنان، لكنَّ روحها إذا انغمست في نهرٍ جافٍّ؛ جعلته عذبًا زُلالًا...

لَمْ تكُن ساذجةً مطلقًا، ولكنها لم تُصادِف الطيبِينَ بَعد، لذا أخبريهم أنكِ لم تكوني ساذجةً يومًا ما، أخبريهم أنكِ ما زلتِ على سجيتكِ الجميلة وفطرتكِ السليمة، وأصلِك النابعِ مِن تُربةٍ طيبةٍ ارتوت بالسماحةِ والأدب، أخبريهم أنكِ ثابتةٌ رغمَ خذلانهم لكِ، وأنكِ تاجُ رؤوسهِم رغمَ غيرتهم، وأنكِ الأولى والأخيرة رغم كثرتهم، وأنكِ عزيزةُ النفسِ لا ترتضينَ بِضاعتهُم، أخبريهم أنَكِ بريئةٌ ظاهرًا وباطنًا لا تُشبهينهُم البتَّة، أخبريهم أنكِ لا تنتمينَ إلى عالمهِم المُزيَّف، ولا تَمُتِّينَ إلى أكاذيبهِم المُلفَّقة بأي صِلَةٍ، أخبريهم أنكِ مُرهفةُ الحسِّ والشعورِ وهم جامدون لا يعرفون عن ذلكَ شيئًا، وأنكِ رقيقةُ الطبعِ وهُم غِلاظٌ قاسون وكأنَّ قلوبهُم صخورٌ صَمَّاءُ، أخبريهم أنكِ رغم صِغر سنَّكِ وحداثةِ وعيكِ إلَّا أنكِ مهما كَبُرتِ لن تموتَ بداخلكِ

الطفلةُ المزاجية الجميلة، أو تذبُل فيكِ بذور النرجسية اللطيفة، أو ينتهي شغفكِ لحُبِّ الخيرِ للجميع مهما آذوكِ، أخبريهم أنهم يحقدون عليكِ مِمَّا أنعمَ عليكِ ربك وحرمهم مِن حُسنٍ ولُطفٍ وجمالِ روحٍ وطهارة قلب، أخبريهم حين يريدون إخفاقكِ أو التمرُّدَ على حُسنكِ ودلالك أنكِ لستِ مثلهم، أخبريهم أنَّ روحكِ سِرُّ حُبِّ الخلقِ لكِ، وأنَّ مَن لا يعِي قدركِ جيدًا فيا لسوءِ حظه، ويا لفداحةِ خسارته، ويا لمرارةِ حرمانه، أخبريهم أنَّ القلوب على أشكالها تقع وليس كلُّ قلبٍ بالطيبينَ مثلكِ واقعًا، أخبريهم إنْ أَردتِ أو لا تُخبريهم فهُم بجواركِ شيءٌ لا يُذكَر وأنتِ السيدةُ الأولى.

انطوائية...

- تقصِد مَن؟! فلعلَّك مُخطئ فلا بُدَّ وأنَّ لها أحدًا تلجأ إليه إن حزنَت أو صرخَت أو ضاقَت بها الأرض ذرعًا!!

- حتى هذا يا عزيزي حُرِمَت منهُ، الأمر أقسى ممَّا تتخيل. إنها وحيدة رغم الكمِّ الهائل المحسودة عليه، والذي لا فائدةَ منه مُطلقًا، هي مُحاطة بالزيف والوهم والطعنات المؤجلة للوقت المُناسب الذي تخشى وقوعه أو اقترابه، هي في صراع دائم مع العُزلة والابتسامات المُصطنعة وسوء النيَّات والقلوب التي طغى عليها سوادٌ حالِك، فالجميع معها وفي كتفها خُطوةً بخُطوة وذراعًا بذراع، هذا ما يبدو في زاوية الكذب فحسب، أمَّا مِن زاوية الـ **(Zoom)** فهُم مشغولون بغيرها، معها فقط بأجسادهم وقت فرحها ومزاجها المُعتدِل، ولكن وقت الشدَّة ينفضون مِن حولها، الجميع يدَّعون أنهُم معها ولكنها وحيدة جدًّا، لا أحد يعلم شيئًا عن مرارة الفقد التي أصابتها، لا أحد يفهم شعور الخيبة الذي اجتاحها، لا أحد يُدرك كمَّ البؤس والمُعاناة التي تمُر بها، سَل جُدران غُرفتها عن البُكاء وحدها،

سَل الليل عن ضجيج الذكريات بعقلها، سَل المصابيح المُظلمة، والأيدي المُرتجفة والفساتين الباهتة وأدوات الزينة المُخبَّأة في سنوات الضياع مِن عُمرها، يا عزيزي، الأمر بالنسبة لرقيقة مُفرطة الحسِّ والشعور مثلها مُعقَّد كلوغريتمات الرياضيات، وطلاسم السحر البشعة، بل إنَّ قوانين الجاذبية أشدُّ قسوة مِن الوجع الصامت أو الألم المُقيم داخلها، ليس بكثرتهُم تالله هي فقط تحتاج إلى شخصٍ واحد يكون لها الرُكن الآمن، والسلام الدائم والقرار الفاصل حين تكترث لأمرٍ ما يصعُب عليها شرحه أو تفسيره، هي فقط تأمل بأن تكون الأعداد حقيقة والأشخاص حقيقة، والمشاعر حقيقة، حتى الوصل بعد الهجر يكون حقيقة، وفي الحقيقة هي تفتقد كُل هذا وما زالت ثابتة رغم هشاشتها وضعفها واحتياجها، وانتظارها للعِوض والجبر مِن الله بأن تتعثَّر بشخصٍ صادق

فقط تقسم به وعليه أنها ليست في معارك الحياة بمُفردها أو في مواجهة أمواج الحُزن العاتية بمُفردها، أعرفتَ الآن أنها رغم كثرتهُم وحيدَة؟!

ضعيفة...

كلّا، إنَّها أقوى مِن الجبالِ الراسياتِ، ألم ترَ صبرها في المِحنِ كيف كان؟!

ألم ترَ حرمانها بعد شِدة تعلُقها بمَن كان؟!

ألم ترَ رضاها بعدَ الذي كان؟!

إنَّ ضعفها مكنونُ الرِّقةِ في وصفِها، ومخزونُ الحُب في تكوينها، نسبة الرحمةِ فيه لها الكلمة العليا، فلا ينبغي لعاقلِ البتَّة أن يصفها بالضعيفةِ أبدًا؛ فلقد ذاقت الأمَرَّينِ في أمورٍ يستحيلُ شرحها، ومراراتٍ، وخيباتٍ يصعبُ حصرها...

لقد تحمَّلت، وعانت حتى بدَت في أعينِ العابرينَ ضعيفة، ولكنَّها وتدٌ راسخ، لا ينكسر، وقلبٌ نابِض يضُخُّ الحُبَ ضخًا حيثُما وُجِد...

ضعيفةٌ بعِزَّة، عزيزةٌ بقوَّة، قويةٌ برحمة، رحيمةٌ بقُدرة، مُقتدرةٌ بحكمة، ولا يُعادِل وجودها شيءٌ في العالمين...

قُل ما شِئتَ فيها وعنها، لكنَّها ليست ضعيفة!

كئِيبة...

قلتُ: هي ليست كئيبة، هي فقط تحمَّلت قدرَ طاقتها، حتى نفدَ الصبرُ منها، وما زالت صامدة، فلو فتَّشتَ فيها لوجدتها تُحَب كما الخيل، أو تُعشق كما الفراشات، أو لا يُطاق بُعدها كالأمهات، ولكن لسببٍ خفي، أو لعلَّة مُبهمة تبدو مكتئبة، مثلًا، أفحمها أحدهُم في قصةٍ واهية، وتوسمت فيه خيرًا فخذلها، أو وُضِعت رغمًا

عنها في مكانٍ لا يسعدها حتى تأقلمت، أو فقدَت عزيزًا لديها تركَ فيها ألمًا دائمًا، لا ينفكُ عنها طوعًا وكرهًا، أو أنها قصيرة النَفَس، يُحاوطها كمٌّ هائِل من الضغوطات، أو ما شابَه، فتراها تسعى ألا تنكسر، فتُشمِت بها أحدًا، فكثيراتٌ منها يَغرنَ، وذلك يُجلِب حُزن العالمينَ وحده، أو أنها وحيدَة بلا أحد تستند عليه، أو تلجأ إليهِ في فاقةٍ أو شدَّة فتأمنه سرًّا، وتطمئن إليه أنه سيجبُرها مُطلقًا...

تعدَّدت أسباب الكآبةِ لديها، والحُزن يسكن قلبها وحدها، ولأنها صادقةٌ حتى في حُزنها، فتراهُ يعلو وجهها المُستدير، كالقمرِ ليلة التمام حتى في وجعه...

ليست كئيبة، ولكنها فرحةٌ مؤجَّلةٌ لمَن يُرد الله به خيرًا، أو كَنزٌ مفقودٌ لمَن يأذن له ربُّه ببناءِ جِدارِ رَوحها، الطيب، المُنقضِّ، مِن جَديد.

غامِضة...

- تقصِد أنها كتومة؟

- لا أعرف ولكن أشعُر أنها تتعمَّد الصمت دائمًا حتى في أبسط المواقِف التي يجب عليها الكلام فيها، أمرها أصبحَ مُحيِّرًا جدًّا!!

- يا عزيزي تلك الغامضة التي تأخذكُم الدهشة والحيرة في أمرها، كانت طبيعية للغاية، كانت ثرثارة فضفاضة، لا تدع صغيرةً ولا كبيرةً إلا وشاركتها التفاصيل، كانت تحكي وتبوح وتشرح وتُفسِّر وتُعبِّر، كانت بريئة حتى لوثها الخِذلان، وأنهكها العابرون، وتزايد عليها الكاذبون، لم تتوقَّع أن يكون ذاكَ حالها يومًا ما، لكن هذا آخر ما تبقى لديها مِن فُتات الصبر، أنتُم من أوصلتموها للغموض الحاد، أنتُم من جعلتموها كتومة متلازمة الصمت والكتمان، أنتُم مَن أهملتُم رأيها، أنتُم من أضعتُم حقها، أنتم

مَن قتلتُم الرغبة الطاهرة فيها بأن تُشارك وتُساعد ولو بالقليل، أنتُم من وضعتموها على الهامش، أنتُم من أتيتُم بها من ذروة العفوية والبراءة، حيثُ السهولة والرِّقة واللين إلى سفح الجمود والجفاء والقسوة، هل لك أن تأتي بوردة رائعة الجمال يانعة الغُصن فريدة الحُسن ثم تقتلونها عطشًا ومِن ثمَّ تطلبون منها أن تحيا وتُزهِر وكأنَّ موتًا لم يحدُث، وكأنَّ قلبًا ما خُدِش أو خُذِل؟! هيهاتَ... هيهات، ما لكُم لا تعقلون؟!

مُتكبِّرة...

قلتُ:

- تحسبهُ تكبُّرًا، وهو كبرياءٌ مُعتَّق بعظَمَة، لا شكَّ أنَّ الذي يجهل قلبها، يجهل أمرها...

كانت بسيطة، يغلُب على طِباعها الرحمة، عفوية، لا تستطيع ترتيبَ الكلام، أو تزيين الجُمل، صبورةً جدًّا على الأذى، تحسبُها جامدةً؛ وهي هشَّةٌ للغاية...

مَن يعرفها يعرف كم هي سهلةٌ، وليِّنة، وبريئة كالأطفال، تُغرِق مَن يدنو منها في حُبها...

لم تكُن متكبِّرة أو مغرورةً قطُّ، لكنَّ الله رزقها كبرياءً ذا هيبةٍ وإجلالٍ، يحمِيها مِن المكائِد، والحُفر...

مُتكبِّرة؟!

كذبتُم، لم تكُن يومًا مُتكبِّرة، تلكَ التي تستحي أن تُلقي السلام على المارة، تلكَ التي تخجل مِن أن يمدحها أحد بأنَّها جميلة، ليسَ تكبُّرًا ولكنَّها العظمة يا سادة المُغلَّفة بالتواضُع وحُب الخير للقاصِي والدَّاني، لم ولن تكون مُتكبِّرة أبدًا، هي فقط لا تُشبهكُم فغارت قلوبكُم منها، واشتعلت في صدورَكُم نار الحسد مِن أجلها، فرميتموها باطلًا بالأنفة والتكبُّر، باللهِ كيف للرقيقة البريئة شبيهة زهور تشرين أن تكونَ هكذا؟!

كونوا مُنصفين حُبًّا في الله ولو مرةً وإن أردتُم قولًا عنها فقولوا: عظيمة الشأن، عزيزة النفس، لا ترضى بأقل مِن حقها، لا تُشبه أحدًا، تلكَ التي ميَّزها الله

بهيبةٍ وإجلال في قلوب الخلق؛ ليحميها مِن مكائِد الغدر ومصائِد الكذب وشِرار الخلق، ليست مُتكبِّرة ولكنَّها تالله متواضِعة فوق ما تظنون، وقريبة أكثر ممَّا تتخيلون، فما ذنبُها يا معشر المتواضعين أنتُم إن كان رزقُها ما حُرمتُم منهُ أنتُم؟! أليس فيكُم قلبٌ رشيد؟!

مزاجية يا سيدنا، أتعبتني!

- أتحبها؟
- حُبًّا جمًّا حدَّ الجنون، تالله.
- وكيف يا ولدي للمُحِب أن يتعب؟! كيف له أن يمَلَّ أو يسأم؟
- لم أملَّ ولم أسأم، ولكن تقلُّب أحوالها معي يُربكني ويُثير غضبي وشجوني، أريد أن يستقِر حالها معي!
- لن أتهمك في نيتك تجاهها، ولن أُقلِّل مِن شأن حُبك لها، ولكن خُذ منِّي يا فتى وانتفِع، فعساهُ

حرفًا أن يقع على فهمٍ خطأ فيُصيبه، تلك المزاجية التي أحببتها لن تجِد مثلها وإن طالَت بكَ الأيام وتعاقبت عليك الفصول الأربعة، مثلها لا يُكرَّر ولا يُعاد، فما تراهُ منها مِن تقلُّب هو في الحقيقة تفرُّد وتميُّز، إذ إنها قادرة أن تتشكل وتتأقلم وتتكيَّف حيثُ كانت، تراها حبيبة طيبة تمنحك سلام الدُنيا وفي قلبها حروب لم تنتهِ بعد، تراها صديقة وفيَّة رغم خذلان الجميع لها، تراها أُمًّا حنونة دافئة تَصبُّ عليك الحُب صبًّا، تلك المزاجية عاقلة كالحكماء، تهب الخير للناس وتنسى ذاتَها، مجنونة كالأطفال، براءتها فضَّاحة ومُستغلَّة، أبسط الأشياء تُسعدها وأبسط الأشياء تُحزنها، تراكمت عليها أمورٌ وأشياءُ لم تجد نصفتها فيها، ولم تجد مَن يحنو عليها، في رأسها طاحونة وجع لا تهدأ ولا تتوقف، بين ضلوعها آثار الذكريات الملعونة التي تُهاجمها من وقتٍ لآخر، لتُعكِّر عليها صفوها ولحظاتها الجميلة النادرة، ترى في خطواتها قلقًا، وتجد

في يدها رعشة الألم تُزعجها، ثيابها ما زالت في وحل السيئين عالقة، المزاجية تلك تحملت فوق طاقتها ما الله به عليم، هل علينا أن نتقبلَّها ونأخُذ بيدها ونُطمئنُها، ونرضى بما هي عليه، ونربُت على كتفها المائِلة المعوَّجة كي يستقيم؟ أم نشتكي مِن تغيُّرها دون النظر لمُجريات الأحداث التي عانت منها كالوحدة والاضطراب والتشوش والمُر الخام التي تجرعت منه طوعًا وكرهًا؟!

- يا الله، كُل هذا؟!

- وما خفيَ يا ولدي كان أعظم، الحُب يا بُني يُعاش جُملة وليس ما نرضى منه فحسب، ولو كُلٌّ منَّا أحبَّ كما يجب وتقبَّل العيوب قبل المُميزات، واقتنعَ بالنقص قبل الكمال، لمَا أفتى وما استفتى، فمَن أحبَّ رضي، ومَن رضيَ واصَل، ومَن واصلَ كانت عُقباه فوزًا ونجاحًا. الحبُ ليسَ مرهونًا بالراحة أو التكافؤ بين الطرفين،

الحُب هبةً ربانيِّة يقذفُها الله في قلوبِ من شاء مِن عباده، فمن شكره زاده، ومَن جحد وأنكر حُرِمَ ومُنِع.

تسألينني... وما ذنبي؟!

ذنبُكِ قلبُكِ يا عزيزتي...

نعم، قلبُكِ البريء، الذي دنستهُ عتبات الخذلان، وعثرات الأوهام، ومرارة الفقد، وشتات الفِكر، ولوعة الصبر؛ أملًا في أيامٍ تتجمَّل، وأكتافٍ تتحمَّل، وأشخاصٍ يبادلونكِ عفويتَكِ المُفرطة خيرًا بخيرٍ، وما فعلوا...

ذنبُ قلبُكِ في سوءِ الاختيار، وسوء الفهم، ومِن ثمَّ الإصرار على مواصلة التقدُم نحو اللا شيء...

ذنبُ روحكِ التي طالما أفرزت دِفئًا للعابرين دونَ تريُّثٍ، أو تعقُّلٍ أو تمهُّل...

تسألينني... ما ذنبُكِ؟!

سَلي مواطنَ الأمنِ التي كانت تحتويكِ، وفرَّطتِ فيها بثمنٍ بخسٍ مشاعرَ معدودة، وكُنتِ في اغتنامِ الفُرصِ مِنَ الزاهدين...!!

❋❋❋



إلى التي لن تقرأ خواطري... لو أنكِ هنا، ما بُحتُ لأحد غيرك بما بُحت، ولكنك آثرتِ الفراق والبعد، فكل مَن يقرأ دونكِ أنا له مُدانٌ أنه ظلَّ معي، وبجواري، وكأنه يعرفني من زمنٍ بعيد، ولعلَّ حرفًا يقع على حرفٍ، فتخرجَ دعوةٌ عن حُب بالجبر، وفي الغرباء تبتُّلٌ وإجابة.

- المرأة التي تستطيع بالكتابة أن تبوحَ عمَّا بداخلها، وتملك حرية التعبير فيما ترغب، تستطيع أن تُشكِّلَ رجلًا من طين، إنْ أطاعها رفعته، وإن

عصاها كسرته، وإن تكبَّر عليها وتمرَّد، جعلته لا محلَّ له من الإعجاز، وكأنَّ شيئًا لم يكن.

- هُناك نوعٌ من الرزق، لا يهبه الله إلا لمَن يشاء من عباده، وجه امرأة تتأمل ملامحكَ، وكأنك آخر رجل على ظهر الكوكب الأرضي، تقرأ خطوط كفكَ وجبينكَ، وكأنكَ ابنها الذي فقدته في الحرب وعاد إليها، أو أبوها الذي تبنَّاها من بعد يُتم، تطيل النظر إلى وجهك المُتعب طوال الليل، تستخرج منه أماكن الدفء والسكن، وبينما أنت تغطُّ في سُباتٍ عميق، تجدها تناجي ربها في صمتٍ، ألا تُحرمَ منك أبدًا،... فاللهم.

- على حين غِرَّة منكِ سيأتيكِ من يُلقبكِ بـ«سيدة القصر»، أو «السيدة الأولى»، أو «سيدة العالمين»... لا تندهشي، أو تتعجبي، فقد أوشك القدر أن يُراضيكِ.

- الحُب الذي لا يخترق جدران قلبكِ، لا تُعدِّيهُ حُبًّا.

- الفُرص التي ضاعت منكِ، سيأتي خيرٌ منها، وفيها الجبر والعِوَض.

- وأنتِ تُعطين الدواء لغيرك تناولي منه، لا تكوني طبيبًا يُداوي الناس، والطبيب عليل.

- لا تدخلي معركةَ حبٍّ، قلبكِ هو قائدها، دعي عقلك يقوم بالمهمة لو أردتِ النصر، فإنْ هُزِم العقل فالقلب يتولى الأمر.

- قصص الحب، وروايات العشق السابقة، أصبح تكرارها مُملًا، اجعلي لكِ حكايةً جديدة لا تُشبه أحدًا، كوني استثناءً لأحدهم في رواية، أنتِ فيها البطلة.

- الشخص الذي يحتضنك بعَينيه قبل ذراعيه، لا تُفرطي فيه.

- لا تخشي الحب، ولا تهابي وقوعك فيه، أنتِ تملُكين مقوِّمات ملكة لم يُعلن عنها بعد، خافي فقط ممَّن لا يتقي الله فيكِ.

- لا تتسرعي في احتضان أحدهم غيبًا، ففي أحضان الغائبين نارٌ ولوعةٌ، وذاكرةٌ تأبى النسيان.

- العالم مشغولٌ بكِ، وليس عنكِ كما يزعمون، في كل مكان أنثى تُغرق وتُنقَذ، تُشعَل وتُطفَأ، تُشيَّد وتُهدَم، تُزرع وتُقلع، والعيون تترصَّدها سرًّا أو علنًا.

- ثُمَّ إنَّ العالمَ كُلَّهُ مُدانٌ بشتَّى أنواعِ الحُبِّ للعفويين أمثالكِ، أولئكَ الذين تنطِقُ قلوبُهم قبلَ ألسِنَتهِم، الذين لا يُجيدونَ ترتيبَ الكلامِ أو تزيينَ الحروفِ، الذينَ يتحدَّثونَ بتلقائيَّةٍ مُفرِطَةٍ دونَ وعيٍ، وعفويةٍ مُطلَقةٍ دونَ إدراكٍ، المُزيَّنةُ أفئدتُهُم بالطيبةِ والمُحاطَةُ صُدورُهُم بالسَّلامةِ، الغارقينَ في الحَياءِ والخَجلِ، الذينَ تُشبِهُ أرواحُهُم خِفَّةَ الفراشاتِ، وسلاسةَ رذاذِ المطرِ، وَرِقَّةَ الفجرِ في البُزوغِ، لهُمُ الرضا وعليهِمُ السَّلام.

- لا تعترفي بشيءٍ أولًا، كوني المعترَف لها، والمعترَف أمامها، والمعترَف بها.

- وحدهم، الذين يعترفون بعيونهم عما في قلوبهم من حب، همُ الذين يشغلون الحيِّزَ الأكبر من الصمت.

- هزائمُكِ في الحُبِّ تُعَوَّض، ما دامت المعركةُ قائمة، وفي قلبكِ حصونٌ، وقِلاعٌ تُشَيَّد من جديدٍ كُلما سقطتِ.

- الإفراط في العشم مُهلِكٌ، كالذي لا يأمن البحر، ويأمل في الوصول إلى العمق.

- ثَمَّةَ قلوبٌ لم تُخلَق لنا، سلي الله ألا يفتنكِ بها، وألا تتعلقي إلا بما كُتِب لكِ.

- حسب التوقيت الدائم للسهر... تلك الليلة هي الأصعب على الإطلاق، خنقةٌ ووحدةٌ وتِيه وضربُ كفٍّ بكفٍّ، وقلبٌ يبكي، بينما العيونُ يعِزُّ عليها الدَّمع.

- لا تكوني ساذجة، فالذي طعنكِ بظهرك لن يداوي جرحك بيده.

- قلبك لم ينم منذ سبعينَ ليلةً وثلاثِ ساعات، توقَّفي عن شرب الناس الذين يستلذون بسهركِ وهم نِيام.

- مَن يحبكِ سيجلس بقلبك وليس بجوارك، القلب المكان الآمن الذي يتَّسِع لشخصَين بمقعدٍ واحد.

- أيامُ الحنين تداعبكِ؟! والخيبات... ماذا عنها؟!

- لستِ وحدكِ... أهل الحب أيضًا وحيدون تمامًا، حتى إنهم إذا اجتمعوا تفرقوا، وإذا اتفقوا اختلفوا، وإذا أقسموا على البقاء رحلوا، وإذا وعدوا أخلفوا، إلا من اختلط حبه بصدق...

- هم وحيدون في حبهم، وأنتِ بلا حُب وحيدة، أيهما أخفُّ وأهون؟!

- إخفاءُ المشاعر تجاهَ مَن نحبهم، جريمةٌ لا تُغتَفر.

- إذا نظرتِ للأشخاصِ بأعيُن الجَمَال، لن تُحبِّيهم.

- ولا شيءَ يعيبُ أيَّ امرأةٍ على الإطلاق، فإن كانت فقيرةً فغناها بقلبها، وإن كانت دميمةً كان الجمالُ برَوحها، ولو كانت حزينةً ففي رضاها الفرح والسعادة، ولو كانت مُطلَّقةً لنصفتها وقلت ظُلِمت مع رجل لا يُدرك معنى الإنسانية، ولو بلغت من الكِبَر عِتيًّا وظلَّت بلا زواجٍ لقلتُ أراد الله بها خيرًا خَفِيًّا، ولو كانت مُقطَّعةَ الأيدي والأرجل صمَّاءَ عمياءَ بكماء، لقلتُ إنها جنةٌ مؤقتةٌ حُفَّت بالمصائب لِجَنَّةٍ دائمةٍ عرضُها السماواتُ والأرض. المرأةُ سندٌ وعَونٌ وغَوثٌ ونجاةٌ من طوفانِ الألمِ والوجعِ والحزن، حتى وإن فقدت ما تأمل فيه مِن حقِّها فحقُّ كُلِّ ذي حقٍّ عندها محفوظ... أَدامَكُنَّ اللهُ للكوكبِ ضياءً ونورًا.

- قصرُكِ يُشَيَّدُ الآنَ في قلبِ أحدِهم، فلا ترضي بالأكواخِ، واصبِري.

- ومَا الحِيلةُ ووَحدَكِ حِيَلي وحَلِّي وحِلِّي وحِصني وحِرزي وحُلمي وحُلوِي وكُلُّ حَلائِلي؟!

- إنها في أشدِّ الاحتياج لمَن يفهمها دونَ شرح، لمَن يلتمِس لها فوق السبعين عُذرًا، خلفهُم خيباتٌ مضت، لمن يتحمَّل عبء تقلبُات مزاجيتها دون شكوى أو ملل، لمَن يُعِيد لها ثقتها في الناس، كونهم يدَّعون الخير ولا تجده، إنها بحاجة إلى من يُرجع لها النُسخة القديمة منها بغير شرح أو فهم أو جدل، هي في حاجة لذلك كُله وبرغم ذلك تجدها سندًا لكل من يسقُط أو يقع، سُبحان مَن جعل فاقد الشيء يُعطيه!

❋❋❋



- في الوقت الذي كنتُ أبحثُ فيه عن شخصٍ يربتُ على كتفي ويقبلُني بما أنا عليه ويميلُ بي ولا يميلُ عني، شخص فقط يشعُر ويُلاحِظ ويهتم ويلين، كان العالم وقتها يُعلن عن انعدام الرغبة في الأمر لعدم توافُر الشروط اللازمة في بحثي، نظرًا لاستحالة العرض، ونفاد الأشخاص المطلوبين، وزيادة حجم الأشرار الذين لا يشبهونني، يا لسوء حظي مع العالم!

- أغفر كل شيء إلا الغياب المُفاجِئ الذي يجعلني أشعر بالهزيمة والخيبة والضعف، حين أكتشف أنني فشلت في ترك ولو شيءٍ بسيطٍ، أو أثرٍ طيبٍ

في الذي رحل عني بغيرِ عذر، وغاب بدون علة، في الوقت الذي كنت أقدِّمُ فيه كل ما في وسعي لشخصٍ ما تمنيتُ بقاءه، وحتى لا يغيب، أُقدِّمُ عمري في سبيل وجوده واستمراره معي، أبذل له وأضحي من أجله وأفعل معه ما يجب أن يفعله شخص يخشى الفراق أو الغياب، أُقدِّمُ رحمتي وغفراني وتجاوزي عن كل شيء، حتى إذا أيقنت أن كل ما قمت به كان هباءً منثورًا، وأن ذلك الشخص أخذ مني أكثر مما يستحق؛ توقَّف قلبي عن الرحمة والغفران.

- الضجيج الذي في رأسي أوشك على اقتناصي وموتي، أفكر طول الوقت بطريقة لا يمكن لإنسانٍ سَوِيٍّ أن يتحملها، كل شيء لا يخطر ببال أحد أنا أفكر به، كل شيء لا يهم أحد أنا أفكر به، كل شيء تولَّى ومضى، كل شيء حاضر، كل شيء لم يأتِ بعد... أفكر به، إنها المعاناة من الدرجة الأولى التي حاولت الفرار منها مرارًا وتكرارًا

قدرَ استطاعتي، ولكني في كل مرة أبوءُ بالفشل؛ فأفكر كيف حاولت، ولماذا فشلت؟! أطيل التفكير في أمري... كيف للمرء أن يكون عقله كطاحونةٍ لا تكلُّ ولا تملُّ هكذا؟!

- مِئاتُ الأسبابِ تدفعُني للبُكاءِ، ولا أفعل، ومرةً واحدة تنهمرُ دموعي كشخصٍ بريءٍ حُكِمَ عليه ظلمًا أن يُرمى مِن أعلى قمَّة جبل أشَمّ في ليلةٍ ظلماء...

- أتظاهرُ بالقوة والضعفُ يتخلَّلُني، أتجمَّل بالصبر وقد ضاقت بيَ الأرضُ ذرعًا، أختنق مِن أتفه الأشياء العادية في أعيُن الجميع، يُصيبني صراعٌ داخلي، لا أعلمُ ما الذي وراءهُ، غير أني أنا المهزومُ الوحيد في معركته...

- الجميع يُنهي يومه دوني، وأنا دوني أُنهي يومي بالجميع، ولا أدري متى أبكي حين يلزم الأمرُ بكاءً...؟! أو متى أكفُّ عنه حين لا يستدعي الأمرُ ذلك؟!

- الأمرُ أشبه بكفَّتَين، كفة فيها العالم بحروبه وسوءاته وتغيراته اللحظية، وكفة فيها أنا فقط، أنا ومزيدٌ من الوجع المُحاط بحزنٍ عظيم، واكتئابٌ حاضِرٌ بأسبابٍ مُختلفة معروفة ولا معروفة، كأن عقارب الساعة لا تتزحزح، والأرض جامدةٌ تحت قَدميَّ، والليلُ في ضيافة النهار بسواده واضطراب أفكاره...

كل شيء حولي يُلمِّح بأن النهاية لن تكون على ما يرام، ما الذي يجعلني أقاوِم لهذا الحد؟!

لا أعلم...

ما الذي يجعلني متماسكًا لهذا الحد؟!

لا أعلم...

ما الذي يجعلني على قيد الأمل إلى الآن؟!

لا أعلم...

أظن أنني إلى أمدٍ بعيدٍ سأبقى هكذا إلى أن يفنى عُمري، وما زال الأمر مُعادًا مُكررًا كأفلام الأبيض والأسود؛ لا يملُّها المشاهدين، ولا ينقطع بثُّها...

ألا وإنَّ الحُرقةَ لي بمفردي، ألا وإنَّ الوجعَ لي وحدي...!

- وليشهد الله في عليائه أنَّني ما تركتُ يدًا مُدَّت لي إلا بعد أن أفلتتني، ولا كسرتُ خاطرًا تعشَّم في ولو سهوًا، ولا زهدتُ في أحد إلا بعد شعوري أنه في غنًى عنِّي، لقد أتعبني قلبي كثيرًا، ولقيتُ من ظُلم الناسِ ما لقيت بسبب طيبتي المُفرطة التي ترمي بي في فخ السيئين، دائمًا أخشى أن يُساء الظن بي وبرغم ذلك لم أنجُ من شباكهُم الخادعة، كُنت وما زلت أنا المُظلوم المُقيَّد بلا براهين واضحة تُثبِت إدانتهُم أو براءتي، وعلى الجانب الآخر الظالم يصول ويجول بحثًا عن فريسة أخرى، حُرًّا طليقًا لا يخاف عُقباهُ في أمري!

- أنا لستُ كما أبدو لك...!!

تراني هادئًا غيرَ مُبالٍ، أو ثابتًا في وجه الحياة العابسة، بينما أنا أحترق بداخلي، منزعجٌ مِن أدق التفاصيل التي

لا يُلقي أحدٌ لها بالًا، اختناقٌ عام في رَوحي بسببٍ أو بدون، قَلِقٌ طوال الوقتِ، أفكرُ فيما مضى، وفيما هو آتٍ، وخزٌ كوخز الإبر المُستمر في أركاني وجوارحي، الذي اعتاد عليه جسدي حتى تغيرت ملامحه تمامًا...

أنت تراني مِن الخارج صامدًا، ولكنِّي مِن الداخِل أُلملمُ أنفاسًا سامَّة مِن الحياة؛ كي لا أقع، أنت تجهلُ ما أمرُّ به، فلا تنخدِع في أمري رجاءً فأنا لستُ كما أبدو لك...!!

- قد تمتلكُ كثيرًا مِن الأشياء التي تجعلك سعيدًا، ولكنك لم تنُل حظك مِن الأمان، فأنت تعيس ولا عجب فلا يوجَد شيءٌ يُعادل شعورك بأن تكون آمنًا مُطمئنًا...

أتذكُر كلمة أحدهِم وقتَ خوفٍ حين تركت فيكَ خدشًا إلى الآن؟!

هل تذكُر أيضًا يدَ أحدهِم وهي تحتضِنُ خوفك، وتُثلج صدرك، وتربِت على كتفك: «أنا معك... لا تخف»؟!

هل يستويانِ مثلًا؟!

أن تكون مُحاطًا بالأمان، فأنت على مقربةٍ من نعيمٍ، من خلاله تستطيع أن تُعطي وتهب، وتمنح وتتصدَّقَ بفائض الحُب لديك، غير ذلك فأقِم على قلبِك عزاءً وحِدادًا مهما امتلكت.

- نحنُ المُهمَّشون، نحنُ البدائِل، نحنُ المُسَاء بنا الظن دومًا، نحنُ أصحاب الاعتذارات على الأشياء التي لم نفعلها، نحنُ تبريرات على أخطاء لم نرتكبها، نحنُ الجانب السهل، والطريق المُمهد والشمَّاعات المُهملة، نحنُ المُنتهزون كالفُرص والضائعون بلا ملجأ، والمُتهمون بلا اعترافات أو براهين، نحن الشعور بالذنب والندم ومنتصف الطُرق، نحنُ العتمة المُصطنعة، نحنُ الأيادي المتروكة والقلوب المخذولة، نحن الصدور التي لا يعلم بزحام الألم فيها إلَّا الله!

- والمؤسف أنهم كثيرون حولك ولا يشعُر بوجعك سواك، أنت في المُعاناة وحدك، وهُم...

هُم فقط لوحة فنية مُزيَّفة لا فائدة منها، هُم فقط يرونكَ صامدًا ثابتًا، ولا يعلمون شيئًا عن الوجع الذي ينهش في جدران قلبك بلا رحمة، ولا يفقهون شيئًا عن الضجيج الدائم بعقلك والذي يشُن غاراتهِ ليل نهار بلا شفقة، لا يدرون عن آثار الخذلان التي ما زالت عالقة بوجدانك تصرُخ فيكَ بكل ما أوتيت مِن قسوة، لا يفكرون في بقايا الحُزن التي جفَّت مدامعها في عينيك، لم يكُن بحُسبانك قطُّ أن إحسانك إليهم يُستردَ ألمًا ووجعًا وخيبةً وخِسارة لا تُعوَّض، وبضاعةً مُزجاة رديئة لم تكُن لائقة لمعروفك معهم يومًا ما، لله درُّكَ كيف بذاك الألم إلى الآن تحيا أو تعيش؟!

- الكارثة العظمى أنني لا أتعلم من أول مرة، أتعامل مع الجميع بحسن نية وصدق، أمنح الجميع الحب والسلام، بل أمنح قلبي في بعض الأوقات التي أشعر فيها بالراحة والخفة، وسرعان ما ينقلب الحال ويُلدغ قلبي من جُحرٍ

كنت أحسبه محراب أمان، أتمتم فيه بدعواتي، أو بيتًا هادئًا يعمُّهُ السكون فقط، أو جزيرة حُبٍّ لا خداع فيها ولا زَيف، ثم أمضي حاملًا هموم الدنيا فوق عاتقي مُعاتبًا نفسي ومتسائلًا: كيف للذين آمنتُ بهم أن يكفروا بي هكذا؟! ثم تراني أسامح وأتغافل إن عادوا ومدوا إليَّ يدهم، أسبقهم بمدِّ يدي وكأن شيئًا لم يكن، تاللهِ... عجيبٌ أمر قلبي... أيُلدغ مؤمنٌ من جُحرٍ مرتين ويعود؟!

- واللهُ يعلم أني لا أكره أحدًا، وأنَّ بين ضلوعي قلبًا ينبض بالحب بدلًا من الدم، ولكني مفرط الحسِّ، شديد الخجل، قليل البَوح والتعبير، كثير الصمت والانطواء، وهذا ما يجعل الناس تتهمني بالتعالي والغرور، ففي الوقت الذي يظن فيه أحدهم أني متكبرٌ أو مُتَباهٍ بشيءٍ ميَّزني الله به، أكون وقتها في قمة تواضعي وخفض جناحي، وإيضاح معالم صورة شخصي الذي لا يعرف كبرًا أو غرورًا، ولكنها عقولٌ لا تتَّفق على أحد.

- كثيرًا ما صرخت في وجه قلبي الهزيل الهش: ألَّا تسقط، إيَّاكَ أن تنهار، أتوسل إليك بكل ما أوتيتُ من ضعفٍ: لا تقع، فالعيون تترصد وقوعنا ولا سبيل لنا إلا التظاهر بالثبات والقوة، فالقلوب القاسية إن أحسَّت هزيمتك ستأكلك كفريسةٍ، وتنهش شعورك، وأنت يا قلبي المسكين، لا تملك من زينة الحياة الدنيا سِوى الشعور، حُبًّا في الله... لا تُشمِت بنا الأعداء.

- مهما كانت قدرتي على العفو والتسامح ومقابلة السيئة بالحسنة، ومهما أُوتيتُ من سخاءٍ وكرم؛ يظلُّ في قلبي ركنٌ يأبى إلا القسوة والغضب على الذين استغلوا بياضه وبراءته، وأنهكوه وأفقدوه حلاوة القرب ولذَّة الشغف بالأشياء، والخوف من كل ما يحمله غدٌ من أحداث وتفاصيل.

- عزائي الوحيد لخيباتي أنني كنت دائمًا أتعامل بعفوية مفرطة في أي علاقة أخوضها، سواءً أكانت حبًّا أو صداقة أو زمالة أو عملًا، كنت أفرش قلبي قبل خدِّي آمِلًا في أن تكون لي مكانةٌ

خاصة عند أحدهم، ولكن كان العكسُ يحدثُ دائمًا، وكأنني أُعَاقَبُ على عفويةِ قلبي، أو أنَّ العيبَ في حسن التعامل مع المحيطين بي...

أعتقد أنَّ الشعور الأسوأ للغايةِ هو الشعور بالخيبة من الجميع.

- اليوم الأول من الفراق كان مؤلمًا للغاية، كنت أشعر وكأنَّ جبال الدنيا أطبقت على صدري، لا أستطيع التنفس، لا أقوى على الكلام حتى ولو بلغة الإشارة، رأسي صَوْبَ الأرض، وقدمي باتجاه السماء، انقلبَ حالي رأسًا على عقب، تذكرت كل شيء، كرهت كل شيء، ودعوت على نفسي وأعلنت الحداد على الدنيا وما فيها، ما يَقرُبُ من ألفِ سنةٍ قادمة، ذاك اليوم كان يشبه يوم الجنازة، الجميع يبكون حزنًا عليكَ، وأنتَ ما زلتَ حيًّا، غير أنكَ جسدٌ بلا رَوح...

يوم الفراق الأوَّل ستتخذ قراراتٍ كثيرةً خاطئة، كان من بينها قرارٌ هو الأكثرُ نفعًا لي، بخِلوا عليَّ بما أفضت به عليهم؟!

إذن... من اليومِ بُخلًا على العالمين.

- كنت أقول لأحدهم: اِبقَ معي، ولا تخذلني كما فعل مَن قبلك؛ أَقسَمَ لي ليلًا أنه لن يفعل، وفي الصباح فارقني...!!

- بمرورِ الوقت ستتجنَّبُ العتاب الذي لا جدوى منه، ستضرب بقلبك عُرضَ الحائط مِن كثرة ما لم تعُد تشعُر به، ستُدير ظهرك للأشخاص المقبِلين؛ خوفًا مِن تكرار الوقوع في خيباتٍ جديدة، ستُصعِّر خدَّكَ للراحلينَ دونَ أيِّ مُشكلةٍ تُذكَر...

بمرورِ الوقت ستنضُج، وتُصبح شخصًا آخرَ غيرَك أنت...!

- ثم تتأقلم على الوحدة، وتتعود على العُزلة، وتعزم على السير بمُفردك، وتتكيف مع الوضع بكُل هدوء ولا مُبالاة، رغم ما بك مِن حروبٍ غائرة وصراعات قائمة لا يعلم بها أحد، ولأنك لا تهوى السقوط فتُصبح وتُمسي كأنك قويٌ صلبٌ

مُنتصِر، لا تعرف هزيمةً أو استسلامًا، وكأنَّ الله يُحبك، ولا يرتضي لك إلَّا العِزة والنهوض!

- لم يكن الفراق قراري -يومًا ما- ولم أتعمد غيابي عن أحدٍ تعلَّقَ بي -يومًا ما- كنتُ دائمًا الطرف المُضَحَّى به، كنتُ دائمًا حلقةَ الوَصل بين الأشخاص، بين الأشخاص وأوقاتِ فراغهم، وبين الأشخاص ومصالحهم الشخصية...

«لم يُحِبَّني أحدٌ كما أحببتُه...!»

- الاختيارات السيئة أكثر ما يميز حياتي الشخصية بصفةٍ عامة، دائمًا أقع في الأشخاص الخطأ، في الأشياء الخطأ، وكأني بلا عقلٍ يميِّز، أو كأن قلبي كفيفٌ لا يرى، أو كأن عيني عمياء لا تُبصر حين تتلهَّف، ومِن ثَمَّ يتبعها قلبي الذي أودى بي إلى الخُسران والهلاك بسبب تسرعه واندفاعه بداعٍ أو بدون.

- كثيرًا ما كانت تأتيني رسائل الله التي تحمل في طيَّاتها: أنَّ أكثرَ الذين تعلَّقتُ بهم ومنحتهم الحب والاهتمام وكلَّ غالٍ ونفيس، الذين كانوا عندي أغلى من نفسي، الذين كنت أعتقد أنهم يحملون لي في قلوبهم الود، كنت أكثر الناس هوَانًا عليهم...

كانت رسائل الله تأتي في وقتها لأهرب بقلبي من فَخِّهم، ولكني كنت أهملها، وأتساهل، وأتهاون، وأغضُّ الطَّرف عنها، ومَن يهمل رسائلَ اللهِ؛ لا يفلح أبدًا.

- والأسوأ مِن كُل شيء حينَ يُشمِت الإنسان نفسهُ في نفسهِ، يُوبِّخ عقلهُ قلبَه: ألم أنصحك؟! ألم أقُل لك؟! ألم أنهكَ عنهُم؟! أرأيت...!

- مزاجيتي المتقلبة قد تجعل مني طفلًا صغيرًا يعطيك كل ما في يده دون تردد، بكلمة حلوةٍ، أو عبارةٍ مذهلة، وقد تجعل مِنِّي أيضًا ماردًا شريرًا، غليظ الطباع، لا يحِنُّ ولا يرِقُّ، وفي كِلتَا

الحالتين حبي للأشخاص لا يتبدل ولا يتغير، لكنها فترات عصيبة تعتريني من حين لآخر، لا أدري ما وراءها، ولا سبيل لي في التحكم بها، لعلها تراكمات منذ زمن بعيد تتقيَّأ من وجعي في الفرح والحُزن، أو لعلها...؟

- الجميع يُريدونكَ النُسخة الساذَجة، يريدونك وديعًا مسالمًا، ومطيعًا، وحاضرًا، وهادِئًا، يطالبون بحقوقهم فيكَ على أكمل وجه، وأنتَ المسكينُ الذي لا يحِقُّ لكَ فيهم شيء، كأنكَ فقط خُلِقتَ لتُلبَّي احتياجاتِ النقص لديهم، الجميع يمتلكونَ مَن هُم أهمُّ منكَ وأجدرُ منكَ، ولكنكَ ثانويٌّ في أعينهم وسدٌّ خانة في أوقات فراغهُم، حقوقُ الملكيَّة فيكَ مدفوعةُ الأجرِ للأبد، والدافعُ وراء ذلك كله قلبُكَ المفضوحةُ طيبته، المكشوفةُ نيَّتهُ، المُستَغَلُّ منهُم مُنذ أن قرأوهُ وقالوا: نِعمَ المغنمُ أنتَ لنا!

- بينما كان الناس يتعلقون بأشرعتي وسفني الراسية على جانب الميناء الآمن، كنت أنا

الغريق الذي يتعلق بقشة يرجو النجاة، لم يدرك غرقي أحد، فجميعهم خُدِعوا في أماني.

- كان من باب العدل أن أُفلِت يدي من الذين أفلتوني، وأن أترك الذين تركوني وتعمَّدوا إيذائي، وأن أتجنب التبريرات الساذجة في الدفاع عن نفسي لتحسين صورتي لديهم، لكني لم أفعل كل هذا، فأنا وعلى المدى الطويل ظللتُ عالقًا بالذين أفلتوني وتركوني وآذوني، أُحسِنُ إليهم، وأتودد إليهم، وأنتظر عودتهم رغم إغلاق جميع الأبواب في وجهي لقد ظلمت نفسي بنفسي...

«لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين».

- مرهقٌ أنا يا الله، وأشعر أنني منهكٌ وباهتٌ ومنطفئٌ، مرهقٌ وأعلم أنك تسمعني وتراني، ولا يخفى عليك حالي، وإنك تعلم ما عجزت أنا عن شرحه، أو البوح به، مرهقٌ ومنكسرٌ خاطري يا الله؛ وحدك جابر المنكسرين.

- أخشى أن ينتهي وجعي الذي تعمَّق بداخلي حدَّ

السكن والاحتيال، بعدما يصبح قلبي لا يبالي ولا يشعر ولا يلين، أخشى من مرحلة القسوة التي جاهدت فيها كثيرًا كي لا أصلَ إليها، أخشى فقدان الشغف بالحياة عامةً بعد أن ينتهيَ وجعي، أخشى ألا أخشى....!

- الخيبات التي واجهتها نتيجة إفراطي في العشم جعلت منِّي شخصًا لا يسأل أحدًا، ولا يطلب شيئًا من أحد، شخصًا انطوائِيًّا، لا يميل لأحد، حتى في أحلك اللحظات التي يحتاج المرء فيها إلى شخص يسنده ولو كذبًا، كنت أنزوي بعيدًا وأكتفي بنفسي خوفًا من خيباتٍ أخرى...

عشمي الزائد في الناس أوقفني على جُرفٍ كاد أن ينهار بي في عداد الموتى، ولكنَّ الله أنقذني...

أنا الآن أفهم وأعِي...

- المشكلة عندي ليست في الذين يكرهونني علنًا على الملأ، بل في الذين يزعمون ويدَّعون حبي في الخفاءِ سرًّا، أولئك الذين لا أرى منهم سوى

الكره، لكن بطريقته غير المباشرة، يدَّعون حبي وهم في غِنًى عني، ويدَّعون قُربي وهم أبعد ما يكون، يقسمون بالبقاء ومن ثم يرحلون، يزعمون أشياء هي في النهاية مجرد كلماتٍ فقط تُقال بلا طائلٍ منها، وأنا أعي ذلك جيدًا، أعي أيضًا أن المُحب يَظهَر حبه، ويكون بَيِّنًا كالشمس في ضحاها، والنهار إذا جلَّاها، أفهم أن المُحب لا يملُّ ولا يكِلُّ ولا يرحل أبدًا...

ليت الكُرهَ يتقمَّصُ دورَ الحب ولو بعملٍ واحدٍ.

- يجتاحني الألم في المساء ثم أستيقظ في الصباح لا أعلم شيئًا، أواصل الحياة بشكل طبيعي جدًّا، غير أنَّ عقلي لا يكفُّ عن التفكير، كيف بِتُّ ليلة أمس أتألم وأغُطُّ في سُباتٍ عميق، ثم أصبحت أستقبل يومًا آخر بصدر رحب؟!

إلى أي حد اعتادت جوارحي الألم دون شكوى أو ضجر أو أدنى مبالاة؟!... لا أعلم!

- دائمًا أشعر أن طيبتي مُستهدفة من الجميع، الكل يُسارع إليها ويتهافت عليها ويطمع بها، طيبتي نقطة ضعفي، وسبب خسارتي واستغلالي من الجهات الأربع، طيبتي سُمٌ في العسل.

- الجُرحُ الأول سيؤلمك ويجعلك تبكي...

الجُرحُ الثاني سيؤلمك دون أن تبكي، بعد تعودك على الخذلان لن تبكي ولن تتألم، فقط ستظل تُخذل في صمتٍ تام إلى أن تعتزل نفسك والعالمين...

- أنا من الأشخاص الذين يكرهون العتاب، ولا أعترف بالذين يقولون إن «العتاب مِن الحُب»، فالعتاب في نظري فخٌ خادع من الشيطان لتوسيع الفجوة بين الطرفين، وكمينٌ مُستتر تقديره كيف تُهزم الأنا؟ في نظر الناس أن أعاتبك يعني أني أحبك ولا أريد أن يكون في قلبي من ناحيتك شيء، ولولا أني أريدك ما عاتبتك، أقول: كيف للمُحب أن يقف للمحبوب على الصغيرة قبل الكبيرة؟! كيف له أن يجلد ظهر محبوبه ويعاتبه

ويلومه وهو يدِّعي حبه؟! كيف له أن يرى محبوبه في موقف اتهام أو قلة حيلة من أمره للدفاع عن نفسه؟!

يا سادة، العتاب يهدم ولا يبني ويترك في الصدر وخزةً لا تُنسى، وندبةً لا تطيب، وقهرًا معجونًا بألم مخفيٍّ لا يشعُر به إلا المُعاتَب فحسب، أنا أحبك، فأنا أتغافل وأتساهل، وأليِّن وأمرِّر، وألتمس العُذر وأنهي الموقف بلطفٍ يليق بك كما أنت بقلبي.

أن أُهزم من أجلك أمام العالمين وإن كُنت أنتَ المُخطئ، أنا لن أعاتبك، أنا سَأُرِيكَ مني جبرًا وكأن عتابًا لم ولن يكُون.

- وما آلمني أكثر من أنَّنِي قدَّمتُ كُل ما لديَّ مِن خير، وساهمت بكُل ما أوتيتُ مِن حُبٍ، وبررتُ بحُسن ظني مواقفَ أوجعتني وأنهكت روحي كنتُ أخشى البوح بها، وراهنتُ على قلبي أنه لن يقع في خيباتٍ أخرى، كنتُ أظنُ أنَّنِي حينَ أزرع الحُب سأجنيه حُبًّا، ولكن للأسف تحوَّل

كُل شيء معي للعكس تمامًا، وما نلتُ إلَّا الوجع والحسرة مِن الجميع حتى فقدتُ شغفي بالأشخاص والأماكن والأزمنة والوعود، فقدتُ حتى شغفي بحُب نفسي، أو بالحياة عامةً إلى الأبد... إلى الأبد.

- الذين راهنتُ عليهم بالبقاء راهنوا غيري على فراقي، الذين راهنت عليهم بحياتي أماتوني، الذين راهنتُ عليهم بعمري أضاعوه، الذين راهنتُ عليهم الناس أشمتوهم بي، أنا لم أعد أراهن على أحد، فكُل رهاناتي في النهاية خاسرة.

- أحيانًا أعلن الغضب على نفسي وأتمرد عليها وأثور، فأنا الذي حملتها فوق طاقتها، أنا الذي بررت كثيرًا للأشخاص الخطأ من البداية، أنا الذي أتحت الفرص وتجاوزت في الغُفران، أنا الذي فتحت الباب على مصراعيه لتقَبُّل ما كنت أود رفضه من الأساس...!

- عدم القدرة على التكيف أو التأقلم أمر يصعُب شرحه أو تفسيره، التمرد على الوضع بالرفض والغضب والعصيان مرٌ كالعلقم لمن لا يستطيعون تحمله أو تهيئة أنفسهم عليه، كأن تأخذ صفعة قوية على وجهك على حين غِرَّةٍ منك، ثم تبتسم وأنت بداخلك بركانٌ يغلي ينتظر الانفجار، التأقلم إرغام الحياة على الموت ببطء وثبات.

- كانت أقصى أحلامي أن أرجع آخر اليوم إلى منزلي بعد عناء وتعب وفكر وجهد، وصراعات داخلية لا يراها أحد ولا يعلم بها أحد، أن أنظر إلى وجهي في المرآة بلا ندم أو أسف، كم وددت أن أرى نفسي القديمة وملامحي المشرقة ولو مرة واحدة، كان يخيب ظني دائمًا في كل مرة فكلما هممت بفعل ذلك لا أرى إلا شخصًا شاحب الوجه يبدو عليه أثر السفر منذ ألف عام، وما زال يركض ولم يصل، شخصًا باهتًا انتهت

صلاحيته تقريبًا منذ ثلاثة عقود، شخصًا يعافر في اللا شيء، وما زال يسعى إلى أهدافٍ حُكِمَ عليها بالموت منذ ولادتها أو أضغاث أحلامٍ لا تحقيق لها ولا تأويل...

- لقد أَخَذَت مني مرحلة النُضج كثيرًا حتى أصل إلى ذروة سنامها، فقدت كثيرين، وصُدمت في آخرين، وكسبت أشياءَ لم تكن في الحسبان، وخسرت أشياءَ لم تخطر لي ببال، النضج أخذ مني كما تأخذ النار من الحطب على مهل، لقد تعلمتُ أنَّ بقاء الأشخاص كذبة محمودة، وأنَّ فقدان الأشياء أحلام مسروقة، وأن ما لم يأتني لم يكن لي، وأن الذي أُخِذَ مني لم يكن قدري، وأنَّ الذي رحل عني كان حتمًا مُفارِقًا ولو تعددت الأسباب...

مرحلة النضج علَّمتني أن الذي يستحق الحُب الكامل هو أنا، ولو بقيتُ بمفردي.

- حين أتحدث عن سخافة الأشخاص الذين خذلوني؛ فأنا لا أصف نفسي بالبراءة والكمال، أو أدَّعي لنفسي الصلاح، أو أني أنتمي لفصيل الملائكة، فأنا أيضًا تسبَّبتُ في جرحٍ وألمٍ وظلمٍ وتركٍ وخِذلانٍ، وكسرت خواطر كثيرة بنظرة أو بقول أو بفعل أو رد فعل ولكن... يشهد الله في عليائه أنني لم أتعمَّد، وأنَّ الذي بدَرَ مِنِّي كان عن غيرِ عمدٍ وقصدٍ، فالله يعلم أنَّ قلبي ضعيفٌ هشٌّ مسكين، لا يقوى على أفعالٍ مُشينة تُنسَبُ إليه، أو تُدينه على رؤوسِ الأشهادِ يوم القيامة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم...





- أُعلِنُها صراحةً... يا معشرَ الرجالِ: أيُّ امرأةٍ لا تكون أنتَ كفايتها وغناها عن العالمين، فدعها وشأنها، لا تسرق عواطفها، ولا تختلس من مشاعرها، وأطلق سراح قلبها لمَن يتكفَّل بأمرها، كُن رجلًا، ودَع المُلكَ للمالِك.

- وستبقى أيُّها الرجُل مهما أُوتيتَ من قوة، ومهما امتلكت من سُلطان، ومهما نلتَ مِن عِزٍّ وجاه، ستبقى ضعيفًا أمام امرأةٍ تحبها، امرأة تفعلُ بكَ الأفاعيلَ بكُلِّ حكمةٍ وهدوء، تارةً تشعر كأنها حكيمةٌ تصفُ لك الدواء وتمنعهُ عنك، وتارةً

تراها كالمجانين تعبثُ بكيانِك دون بُرهانٍ منك على ذلك، امرأة واحدة تهيمُ بها، قادرة على أن تتخلَّلَ عظامك كنزلاتِ البرد، وتنسِج في وجدانك خيوطَ العشقِ كما ينسِجُ العنكبوتُ بيتَه، لا تستطيعُ الفِكاكَ منها مهما حاولت ولن تنفعَكَ عظمتك وغطرستك أمام التحليق في عينيها بتدلُّلٍ منها، لن يمنعكَ كبرياؤُكَ عن الاعترافِ أمامَ ضحكتها أنك طفلٌ لا مأوى لهُ سواها، لذلك كُن على يقينٍ تام حين تخوضَ معركةَ الحُب أنكَ مهزومٌ وإنْ بدا لك أنكَ مُنتصِر، وأنكَ غارقٌ مهما ظننتَ أنكَ ناجٍ، وأنكَ مأسورٌ بينَ سَباياها رغمًا عنك مهما ادَّعيتَ أنكَ حُرٌ طليقٌ في رِحابها. كُن عاقلًا قدرَ المستطاعِ حتى تفقدَ عقلكَ معها، فإنْ كانت هي ناقصةَ عقلٍ فأنت بعقلٍ ناقصٍ دونها، وليس لكَ سبيلٌ للفوزِ بما لديها إلا أنْ تستبيحَ هي عقلكَ برضًا منكَ، فتُغيِّبَك عن الوعي، وتُفقدكَ اتِّزانك،

وتطرحكَ أرضًا، ولا يسَعُكَ حينها إلا الاعترافَ التام بالهزيمةِ والضعف عندها، فكُل قويٍّ يا معاشِر الرجَال أمامَ مَن يُحبها ضعيفٌ، وأنَّ القوةَ بيدِ اللهِ جميعًا.

- في قلبي سُرادق عزاء لأشخاصٍ أفلتوا يدهم من يدي، بينما كنتُ أُقدِّم لهُم كل أسباب الحياة كانوا يدفعونني نحو الموتِ دفعًا.

- الشخص سيئ الحظ دومًا، هو أكثر الناس أهلًا للخير والحُب والحياة، والأحق بالعِشرة.

- الطيبون ليسوا سُذَّجًا أو على رؤوسِهم بطحةٌ كما يدَّعون، الطيبون لم يُصادفوا الطيبين بعد.

- الغِيرة شطر الحُب، كما أنَّ الطهور شطرُ الإيمان، والشطرُ ليس بالنصف بل الشرط.

- الجُهلاء رغم ما فيهم مِن سَعة، إلَّا أنَّ قلوبهُم ضيقة كأقفاصِ العصافير.

- الحُب أخذ وعطاء، والبقاء فيه لأكثرهِم بذخًا.

- كُل بابٍ أغلِق في وجه قلبك كان وراءه أذًى بالغ، فلا تبحث عمَّا خُفي، ولمَ الباب أُغلِق، فقط ابحث عن بابٍ آخر لا يُردَّك مِن أول طرقة.

- العالم لا يعرف اللين ولا الرحمة على الذين يندبون حظوظهم في الأمس، العالم يُفكِّر كيف سيكون الغد، فانتظره هُناك.

- كُل امرأةٍ جميلةٌ ظاهرًا، جميلةٌ باطنًا، والفيصل في ذلك روحها.

- الوجع لا يُوصف، والألم لا يُحكى، والبُكاء دوافعه كثيرة جدًّا، فلا تطلُب مِن أحد أن يصف لكَ ما يشعُر به.

- صديق واحد كافٍ دُنيا وجنَّة، فاختر بعناية من يُشاركك النظر لوجه ربٍّ كريم.

- النساء أكثر المخلوقات حُبًّا وحُزنًا، فالحذر من وقوعك في إحداهنَّ، فقد تكُونُ ذات مهارة في الاثنتين.

- اللين واللُطف سطور من نور في قلبٍ دوِّن فيه ألف قصة حُب من النظرة الأولى.

- مَن استلذ بهجرك أذق غيره وصلك بنكهة أبدية، يشعُر فيها أنك تكره وترفُض أسباب الرحيل.

- القبول نعمة، والراحة النفسية رزق، لذا فإن الإجابة عن سؤال لماذا وقعت في حُب شخصٍ ما دونًا عن غيره؟!، ستظل مجهولة للأبد.

- الخِذلان يُشبه السكين الحاد الذي يخشى تقطيع السلطة، لعدم توافر الملح عِوضًا عن الجرح.

- البنات الرقيقات أكثر القلوب بُكاءً في صمت.

- الليل والقمر والنجوم شهودُ عِيان على أرقٍ أصابَ قلبًا، كان يأمل أن يغفو من الوجع قليلًا، ولكنه شاركهم السهر فأصبحوا أصدقاء.

- كُل ممنوع مرغوب إلا النار، لا ترغب فيها بجهل من أجل شخص قد يدخُل الجنة بعدما يتوب منك.

- جبر الخواطر هو الشيء الذي سيبقى في الحياة والجنة، فأكثِر منه ما استطعت.

- لا تؤذِ أحدًا رأى فيك ركنهُ الآمن، ولا تُخيِّب ظن أحدٍ قصدكَ في تغيير لون دمه الذي أهدر ملامحهُ العابرون.

- دعوة واحدة من أمٍّ كفيلة بتغير ملامح العالم، فالبِّر البِّر.

- الكبت سيأتيك بمَلَك الموت في غير موعده، قُل وبُح وعبِّر وثُر واغضب، لا تحبِس في صدرك شيئًا، وليكُن ما يكون.

- الذين تركوك كانوا نعمة تستوجب الشُكر، أنتَ جحدتها بتفكيرك الدائم فيهم.

- تصدَّق عن قلبك كُل يوم ولو بركعة، تطلُب فيها من الله أن يرزقك مَن لا يستبيح حُزنك، أو يستغِل ضعفك، أن يرزُقك بمَن يحبك من أجلك أنت.

- أنت تستحق أن تكون في حياة أحد يراك ثامن العجائب السبعة، أن تكون معجزته التي يتمنَّاها ليل نهار، ولو كلفته روحه.

- لا تلتفت لمَن يكرهونك، الناس لا ترضى عن الخالق، يسبُّونه وينسبون إليه الولد، وهُم غارقون في حِلمهِ وسترهِ ورزقهِ ليل نهار، أفيرضونَ عنك أنت؟!

- ليتني مزمارٌ مِن مزاميرِ آل داوود، أو خشبة في سفينة نوح، أو حبَّة رمل وطئتها قدم «مُحمدٍ» صلَّى الله عليهِ وسلَّم.

- ثُم يرحلُ عنكَ الذي أقسمَ لكَ بالبقاء، يُفلِتُ يدَهُ منكَ بأعذارٍ كاذبةٍ وحجَجٍ زائفة، فتُهدمُ رَوحكَ، وتُسلبُ ثقتكَ، وتخِرُّ أركانُكَ في محرابِ الوجعِ سُجَّدًا، فتشعُر لوهلةٍ وكأنكَ أصبحتَ في عيونِ الناسِ عاريًا.

- جميع الأخطاء مغفورة إلا نُكران المُعروف، والتفلُّت الغادِر كالثعابين وقت الشدَّة.

- بيتٌ فيه بنت تُطيع أمها وأبيها، بيتٌ تغشاهُ الرحمة.

- عسى الله أن يأتيَ بالحُب دُفعةً واحدة على كفوفِ وقلبِ رجُلٍ لا يخشى فيكِ لومة لائم.

- الأماكن والعطور واليد اليُمنى ولون الشجر وأشعة الشمس في الصباح لعناتٌ تُصيب الذكريات بالوجع، ولا يفهمها إلَّا مَن خُذِل.

- الأمان هو الحجر الأسود للحُب، فلا تسمح لأي أحدٍ أن يسعى أو يطوف بكعبة قلبك ما لم تكُن آمنًا، أعرِض عنهُ ولا تولِّى شعورك شطر قبلته.

- لا تخَف ولا تحزن ولا تبتئس، فلن تموتَ نفسٌ حتى تستكمل أجلها ورزقها... كُن مُطمئنًا دومًا.

- أمقِت الحسد والحاسدين، وأتبرَّأ من جلدي إن شعرتُ أنه ينتمي إليهم.

- أسامِحك لأني أحبك فقط، لا مِن أجل أن تكررها... انتبه.

- يومًا ما سيغرق العالم أو يحترق، سأكون طوق نجاتك، ولو كُنا بين الأموات، دُعائي لك سيفعل.

- أستطيع وبُكل حكمة أن أدُلك كيف تفرح، بينما أنا في حُزني غارقٌ تائهٌ بلا دليل.

- ما جعل الله لرجل مِن قلبين في جوفه، بينما المرأة قلبها يسع العالم حُبًّا ورحمة، فإذا اطمأنَّت بأحدٍ، اكتفت.

- وإن فاضَ بك الوجع، فلا تُعرِّي سِرك، مُت مستورًا.

- مِن فرط عفويتها، كانت إذا مالت إلى شيءٍ لانَ معها.

- آخر مراحل الصبر هي العُزلة، ثُم النظر إلى السماء بصمت.

- أمي امرأةٌ بارعة في قياس حُزني فقط تنظُر إلى رعشة يدي، وتُشخِّص.

- أقسم لكَ أنَّ الجمال لم يخرُج مُن مُحيطك أنتَ، ولكنك مُهمَل، تحتاج فقط لمَن يكتشفك.

- أعمدة الإنارة في الشوارع تحن لليالي الشتاء، ومعطِفك.

- أمِت شعور الدهشة بداخلك، كُل شيء هذه الأيام واردٌ حدوثه.

- أنتَ من أعطيتهُم فوق ما يحتاجون إليه، فتعالَوا عليك، فلا تلومنَّ إلا طيبتك.

- ستُهمَل وتُترك إن أفرطتَ في حُب أحدهُم، اعتدِل تدُم.

- في قلبها جدارٌ مُنقضٌّ يحتاج إلى «خِضرَ» ليُقيمهُ دونَ أجر.

- في وادي الشوك، لا تتعشَّم الوردة بظِل.

- مُثير للشفقة مَن ظنَّ أنه عمود فقري في ظهر من طعنته الأيام، وتعوَّد أن يسند نفسهُ بنفسهِ، رغم ما بهِ من هَشاشة وضعف.

- الأقربون أولى بالمعروف، وأنتَ أقرب لي من نفسي، هلَّا منحتني معروفًا!

- وما أوجعَ شخصًا وجلبَ إليهِ الهمَّ والحزَنَ وأصابَه في مَقتَل مثلُ سوءِ الظنِّ بهِ في شيءٍ هو بريءٌ منه، أنْ يُتَّهمَ في أمرٍ لم يمُرَّ بخاطرهِ بالمرَّة.

- الذين يكتبون عن الحُزن بداخلهم أطفالٌ رُضَّع، كُلما بكوا سالت حروفهم لبنًا مُصفًّى، لا يتذوقه إلا المُتعبين.

- جاهد ألا تُرِيَ أحدًا ضعفك، العالم سيئ بما يكفي، ولا يرحم أحدًا.

- عيناها شراعٌ، أنقذَ الجميع وأغرقني، وأقسمت أنَّ الذنب في يمِّي وأمواجي.

- البنات مخلوقات عجيبة، إن استطعت أن تُرضِيَ إحداهن، فقد فُزتَ وربِّ الكعبة.

- أبي لم يمُت منذُ زمنٍ بعيد كما يقولون، ما زلتُ أسمع دقات قلبي تُحاذي ضرب نعليه على عتبات البيت تُغني.

- الطيبون ضريبة هذا الزمان.

- قلبُك لا يُخطئ، إن كان يُصلي فاتبعه، ولا تكُن مِن الغافلين.

- دعهُ الآن وشأنه، طواحين العالم تفتعِل في رأسه.

- القسوة والغِلظة والحِدَّة حين تختلف الآراء سمة الجاهلية.. تذكَّر أنك مُسلم فحسبْ!

- في أيسر كتفي ثلاثٌ وعشرون وخزةً، يسألونني كيف خذلتني الأيام هكذا ولم تكترث لأمري؟!

- الحياء للبنت ككسوة الكعبة، إذا خلت منه، طاف حول عُنقها الفاسقون.

- في كَفيها خريطة العالم، ولون العَلم، وحبرُ العِلم، ولكن للعلمِ كفيها تتَّسعانك إذا احتضنتاك، ولا تضيقان، فانتبه.

- الأمر كان يحتاج فقط لمَن يفهم الأمر دون شرح أو تبرير، أنتَ الذي مللتَ منِّي، وأنا ماضٍ مُشوَّش، لا يُطَاق إلَّا بفهم.

- ستتنازل عن أشياء كُنت تحسبها ستدخل معك قبرك، لن تلتفت لها، ولن تُعيرها قلبك، ستُمر عليها مُرور الكرام.

- ملَكانِ معك أينما ذهبت، والله شهيدٌ عليكم، كيف لكَ أن تعصي؟!

- الجنَّة موعدك، لا تنشغل ولا تنسَ، ها هي تقترب، فاستعِد.

- وستعلم غدًا أنِّي لا أكرَّر ولا أُعاد، جرِّب غيري، وأخبرني كيف أصبحت مُتاحًا، بينما كُنت خاصتي وحدي.

- ليتني ماء زمزم، كلما تضلَّعت (ارتويت) منِّي، شرِبت.

- تُغريني الأشياء البسيطة، وأكره التكلُف، كُن بسيطًا إن أردت قلبي بِلا مُقابل.

- بينما أنتَ تقرأ، أكون أنا على حافة الحرف، أرى عينيك وأسمع خفقان قلبك، وأعلم أمنيتك، فتَمَنَّ لي مِثلك، فعساها وما يُدريك!

- الله جميل يحبُ الجمال، أقصدُ: يُحبك أنت، ألست توَّابًا إن زللت؟ ومُتطهرًا إذا صلَّيت؟ أجل، فأنتَ جميل، واللهُ يُحبك.

- ومتى أعلمُ أننَّي أحبُها؟!

- حِينَ تجدها تكبُر عِندَك، وتصغُر أنتَ مِن أجلها.

- كيفَ وصالُها إن تباعدَت المسَافات؟!

- لدُعاء يطوي المسَافات، اُصدُق ولا تمَلَّ.

- هل حنيني لها ملعونٌ كما يقولون؟!

- ملعونٌ كُل مَن لعنَ حنينك لها، بل سامحَ الله الحنين.

- لماذا أشعُر أننِّي كالغارق فيها؟!

- إن لم تغرق فيها، فما أحببتها.

- أيُّهما معها أُصدِّقهُ، قلْبي أم عيني؟!

- سَلْ روحَك، تُجِب.

- أين تكمُن راحتي فيها؟!

- بين ضلوعها، إن أذنَت لكَ بذلِك.

- تتدلَّل كثيرًا؟!

- حقها.

- تتعمَّد غضبي؟!

- لترى مِنكَ رفقك بها، ولينكَ معها.

- مزاجية كالأطفال؟!

- يا لحظك بها.

- أتمنَّى أن أكتمل بها، فدائمًا أشعرُ أنِّي ناقصُها؟!

- إن صدقتَ، فحقًّا اكتملت.
- تُجبرني على فعل أشياءَ كثيرة كالأمهات؟!
- تعلَّم وافعل، فتلك نعمةٌ تستوجِب الشُّكر.
- أصبر عليها إلى متى؟!
- إلى أن تُصادفك في الجنَّة، وتُقرِّر أترضى بِك، أم تصرف نظرها عنك.



-تمَّ بحمدِ اللّه -

شُكرًا جزيلًا لكُلِّ «هي»، نَسَبْتُ إليها نفسي، وقلتُ: إنَّها «بِضعةٌ مِنِّي»...

شُكرًا لكُلِّ «هي» قرأت، وفَهِمت، وأَحسَّت، ووَعَت، وجُبِرَت، واطمأنَّت، ففَرِحَت، ودَعَت للذي من أجلِها كَتَب...

إلى

«بضعة مني»

أحمد عبد اللطيف